

بيل هوكس

نسويّة للجميع

السّياسات العاطفية

مكتبة

ترجمة: منير عليمي

جدل

منشورات جدل

نسوية للجميع

السياسات العاطفية

نسوية للجميع

السياسات العاطفية

بيل هوكس

ترجمة: منير عليمي

العنوان الأصلي باللغة الإنجليزية
Feminism Is for Everybody
By Bell Hooks
2015

الطبعة الأولى: أغسطس 2022م
ISBN: 978-9921-774-83-2



منشورات جدل©
JADAL PUBLISHING

دولة الكويت
المملكة العربية السعودية
جمهورية مصر العربية
(+965) 99900912
(+966) 554658820
WWW.JADALBOOKSTORE.COM
JADAL.PUBLISHING
JADALBOOKSTORE

JADAL

بيل هوكس

دراسة

نسوية للجميع

السياسات العاطفية

ترجمة

منير عليمي

مقدِّمة

لنقتربَ أكثر من الحركة النِّسويَّة

حيثما ولَّيتُ وجهي، أقول بفخرٍ للناس، الذين يريدون التَّعرُّف إليَّ، إنَّني كاتبة، ومنظّرة نسوية، وناقدةٌ ثقافيَّةٌ. أخبرهم أنني أكتب عن الأفلام والثقافة الشعبية، وأحلِّلُ الرِّسالة التي أحملها على المَديين المتوسِّط والطَّويل. يجد معظم الناس هذهِ النُّقطةَ مثيرَةً فتولدُ في داخلهم رغبةٌ في معرفة المزيد. يذهب الجميع إلى قاعات السِّينما، ويشاهدون التلفزيون، ويُلقون نظرة سريعة على المجلَّات، فتجدُ لكلِّ شخصٍ تصوُّرهُ الخاص حول الرَّسائل التي يتلقَّاها، وحول الصُّور التي يشاهدها. من السهل على الجمهور المتنوع الذي أواجهه أن يفهم ما أفعله بصفتي ناقدَةً ثقافيَّةً، وأن يفهم شغفي بالكتابة (يرغب الكثير من الناس في الكتابة والقيام بذلك)، لكن **النظرية النسوية** هيَ الموضعُ الذي تتوقف عندهُ الأسئلة. أميلُ إلى سماع كل شيء عن وحشيَّةِ النسوية والنسويات السيئات: كيف «يكرهن» الرجال، وكيف يردن «هنَّ» أن يتعارضنَ مع الطبيعة والله؛ كيف «أنَّهنَّ» كلهنَّ سحاقيَّات؛ كيف «أنهنَّ» يحظينَ بجميع الوظائف، ويجعلن من العالم صعباً على الرجال البيض، الذين لا يملكون فرصة.

عندما أسأل تلكَ الفئة من النَّاس عن الكتب أو المجلات النسوية التي يقرؤونها، وحينَ أستفسرهم عن الأحاديث النِّسوية التي سمعوها، وعن الناشطات النسويات اللاتي يعرفونهنّ، يجيبونني بأنَّ كلّ ما سمعوهُ عن الحركة النِّسويَّة ليسَ إلَّا أمراً مستهلكاً، وأنَّهم لم يقتربوا البتَّةَ من الحركة النِّسويَّة، ولا يعرفونَ ما يحدث في الواقع. غالباً ما

يعتقدون أن الحركة النسوية هي مجموعة من النساء الغاضبات اللواتي يردن التَّشبُّهَ بالرجال. إنهم لا يفكرون في الحركة النسوية على أنَّها حركةٌ حقوقيَّةٌ تسعى إلى حصول المرأة على حقوق متساوية مع الرِّجال. عندما أتحدث عن النسوية كما أعرفُها -عن قرب وانطلاقاً من تجربةٍ شخصيَّةٍ- يستمعون إليّ عن طيب خاطر، رغمَ أنَّهم، بمجرَّدِ أن تنتهي محادثاتنا، يسارعون إلى إخباري بأنَّني مختلفة، ولستُ مثل النسويات **«الحقيقيات»** والغاضبات اللواتي يكرهنَ الرجال. حينها، أؤكد لهم أنني نسوية حقيقية وراديكالية بقدر ما يمكن للمرء أن يكون، وإذا تجرؤوا على الاقتراب من الحركةِ النِسوية فسوف يرون أن الأمر ليس كما تخيَّلوه.

كلَّما اصطدمتُ بأحدِ هذه اللقاءات، وجدتُ رغبةً تدفعني إلى حملِ كتابٍ صغيرٍ في يدي حتى أتمكَّنَ من الحديث مع النَّاس، فأقولُ لهم **«اقرؤوا هذا الكتاب»** وسوف يحيطكم علماً بالحركة النِسويَّة وماهيَّتها. لذا، أريد أن أحمل في يدي كتاباً موجزاً من السَّهلِ قراءته ومن اليسير فهمه؛ ليس كتاباً كبيراً، وليس كتاباً مثقلاً بالمصطلحات اللغوية والأكاديمية التي يصعب هضمها، لكنه كتاب مباشر وواضح؛ تسهل قراءته دون أن يكون مبسّطاً إلى درجة الابتذال. منذ اللحظة، التي غيّر فيها التفكير النسوي والسياسة النِّسوية والممارسة النِّسوية حياتي، وأنا أرغبُ في كتابةِ هذا الكتاب. لقد أردت أن أقدِّمهُ لفئةٍ من البشرِ أجلُّها كثيراً، وأرغبُ في تمكينها من فهم هذه القضية بشكل أفضل؛ هذه السياسة النسوية التي أؤمن بها بعمق، وهذا هو الأساس الذي بُنيت عليهِ حياتي السياسية. ما هي النسوية؟ النِسويَّة التي لم ترمِ جذورها في شِراكِ الخوف أو الفانتازيا.

لقد أردتُ أن أقدّمَ تعريفاً مُبسَّطاً، يُتلى مراراً على آذانِ الجميعِ فيترسَّخ في أذهانهم: «إنَّ الحركةَ النِسويَّة حركةٌ ترمي إلى القضاء على التَّمييز على أساس الجنس والاستغلال الجنسي والاضطهاد». أحبُّ هذا التَّعريف الذي قدَّمتهُ قبلَ عشرِ سنواتٍ في كتابي الموسوم بـ (**النَّظريَّة النِسويَّة: من الهامش إلى المركز**). أحبُّ هذا التَّعريفَ فقد بيَّنَ بوضوحٍ أنَّ الحركةَ النِسويَّة لا تسعى إلى أن تكونَ كياناً معادياً للرِّجال، كما أظْهرَ بشكلٍ واضحٍ أنَّ الإشكال متمثِّلٌ أساساً في التَّحيُّزِ الجنسي. يساعدنا هذا التَّعريف المبسَّط في العودةِ بذاكرتنا إلى الخلفِ، رجالاً ونساءً، إلى حقيقة كوننا قد نشأنا اجتماعياً ومنذُ الولادةِ على تقبُّلِ التَّحيُّزِ الجنسي فكرَةً وممارسةً. ونتيجةً لتلكَ الفِطرة الاجتماعيَّةِ، أضحت المرأةُ متحيِّزَةً جنسياً كالرَّجل. ولئن كانَ هذا التَّحيّز لا يعدو في عمقهِ أن يكون تبريراً للهيمنةِ الذُّكوريَّةِ، فإنّه من بابِ السَّذاجةِ والتَّفكير الخاطئ لدى المفكِّرات النِّسويَّات أن ننظرَ إلى الحركة على أنَّها كيانٌ نسائيٌّ معادٍ للرِّجال. لإنهاء البطريركيَّة (طريقةٌ أخرى لتسميةِ التَّحيُّزِ الجنسي المؤسَّساتي) نحتاج جميعاً إلى توضيحِ نقطةٍ مهمَّة مفادها أنَّنا جميعاً مشاركونَ في ترسيخ التَّحيُّز الجنسي إلى أن تحينَ اللَّحظةُ التي نغيِّرُ فيها عقولنا وقلوبنا، حتَّى نتخلَّصَ من الفِكرِ المتحيِّزِ جنسياً، والفعلِ المتحيِّزِ جنسياً، وتغييرهما بفكرٍ وفعلٍ نسويينِ.

إنَّ الذكور، بوصفهم مجموعةً، هم الأكثر استفادة من النظامِ الأبوي، فهو من منحهم فرضيَّةَ تفوُّقهم على الإناث، وأحقيَّتهم بالتَّحكُّمِ فينا. لكن هذه الفوائد كان لها ثمن، ففي مقابل كل الخيرات التي يحصل عليها الرجال من النظام الأبوي، يتعين عليهم السيطرة على النساء، واستغلالنا وقمعنا، باستخدام العنف، إذا كان عليهم الحفاظ

على النظام الأبوي (البطريركي) كما هو. يجد معظم الرجال صعوبة في أن يكونوا أبويينَ (بطريركيين) وينزعج معظم الرجال من كراهية النساء وخوفهنّ من العنف الذكوري المسلَّطِ على النساء، ويشملُ هذا الخوف حتى الرجال الذين يرسِّخونَ هذا العنف ويجعلونهُ قائماً، لكنّهم يخشون التخلي عن الفوائد التي يدرُّها عليهم. إنهم غيرُ مؤكَّدٍ لهم ما سيحدث للعالم الذي يعرفونه عن كثب إذا تغيّر النظام الأبوي؛ لذلك يجدون أنّهُ من السَّهل دعم هيمنة الذكور بشكل سلبي رغمَ معرفتهم التي ترسَّخت في أذهانهم وقلوبهم بأنّها سلوكٌ خاطئٌ. يخبرني الرجال بشكلٍ متواصلٍ أنه ليس لديهم فكرة عمّا تريده النسويات. أنا أصدقهم، وأؤمن بقدرتهم على التغيير والتّقدم، وأعتقد أنهم إذا تعرّفوا على الحركةِ النِّسوية عن قربٍ فلن يخشوا ذلك بعد الآن؛ لأنهم سيجدون في الحركة النسوية الأملَ في تحريرهم من عبودية النظام الأبوي.

لهؤلاء الرجال، صغاراً وكباراً، ولنا جميعاً، كتبتُ هذا الكتيب القصير، الكتاب الذي قضيت أكثر من عشرينَ عاماً أتوق إلى كتابتهِ. اضطررت إلى كتابتهِ لأنني ظللت أنتظر ظهورهُ، ولم يحدث ذلك. ومن دون ذلك لم تكن هناك طريقة لمخاطبة جحافل الناس في هذه الأمة، الذين يتعرضون يومياً لردود فعل عنيفة معادية للنسوية، ويؤمَرونَ بمواجهةِ حركةٍ ومقاومتها بنوعٍ من الكراهية، وهم لا يعرفون الكثير عنها. يجب أن يكون هناك الكثير من الكتابات التمهيدية النسوية الموجزةِ، فمن السهل قراءة الكتيبات والكتب، التي تقدِّمُ لنا كلّ ما هو متعلِّقٌ بالحركة بالنسوية، وإنّ هذا الكتاب سيكون مجرد صوت عاطفي آخر يتحدث نيابة عن السياسة النسوية. يجب أن تكون هناك لوحات إعلانية؛ إعلانات في المجلات، إعلانات على الحافلات ومترو

الأنفاق والقطارات؛ إعلانات تلفزيونية تنشر الكلمة، لتسمح للعالم بمعرفة المزيد عن الحركةِ النسوية. لم نصلِ إلى هناك بعد. ولكن هذا ما يجب علينا فعله لمشاركة تصوُّرنا حولَ الحركةِ النسوية، والسماح للحركة بملامسةِ أذهان الجميع وقلوبهم. لقد لامس التغيير النسوي بالفعل كل حياتنا بطريقة إيجابية. ورغم ذلك إننا نغفل عن الإيجابي عندما يكون كل ما نسمعه عن النسوية سلبياً.

حينَ بدأت في مقاومة الهيمنة الذكوريَّة، والتمرد على التفكير الأبوي (ومعارضة أقوى صوت أبوي في حياتي - صوت أمي)، كنت لا أزال مراهقَةً شغوفةً بفكرة الانتحار، ومكتئبَة وغير مؤكَّدٍ لدي أنّني سأجد معنى ومكاناً لنفسي في حياتي؛ كنت في حاجة إلى الحركةِ النسوية لتوفر لي أساساً من المساواة والعدالة أقفُ عليه. لقد تعرَّفت أمِّي إلى التفكير النسوي ولكنَّها كانت تراني وجميع بناتها (نحن ست بنات) أنَّنا نعيش حياة أفضل نتيجةً للسياسة النسوية. لقد كانت ترى أن الوعدَ والأمل متجسِّدينِ في الحركة النسوية. هذا هو الوعد والأمل الذي أريد أن أتشارك فيه معكم ومع الجميع في هذا الكتاب.

تخيل أنك تعيش في عالم مجرَّدٍ من كلِّ هيمنةٍ؛ حيث الإناث والذكور ليسوا متشابهين أو متساوين دائماً، ولكن حيث الرُّؤية التَّشاركيَّة هي الروح التي تشكل تفاعلنا. تخيل أنك تعيش في عالم؛ حيث يمكننا جميعاً أن نكون على ما نحن عليه، عالم يسوده السلام واحتماليَّة التَّغيير. الثورة النسوية وحدها لن تخلق مثل هذا العالم. نحن في حاجة إلى القضاء على العنصرية والنخبوية الطبقية والإمبريالية، لكنَّ ذلكَ سيجعل من الممكن لنا أن نكون إناثاً وذكوراً مكتفينَ ذاتياً بشكل كامل، وقادرين على إنشاء مجتمع محبوب، والعيش معاً، وتحقيق أحلامنا

بعالم تسودهُ الحرية والعدالة، والعيش في حقيقة مفادها أننا جميعاً قد «خلِّقنا متساوين». اقتربوا عن كثبٍ وتبيَّنوا كيف يمكن للنسوية أن تلامس حياتكم وكل حيواتنا وتغيرها. اقتربوا أكثر واعرفوا عن كثب ما تدور حوله الحركة النسوية. اقتربوا وسترونَ أنَّ: النسوية للجميع.

السِّياسات النِّسويّةُ
أين نقفُ؟

يمكنُ أن نعرفَ النِّسوية، بكلِّ بساطةٍ، بأنها حركةٌ تسعى إلى إنهاءِ التّمييز على أساس الجنس والاستغلال الجنسي والظلم. هذا هو تعريفُ النسوية الذي قدَّمتهُ في كتاب (**النَّظريَّة النِّسويَّة: من الهامشِ إلى المركزِ**) قبلَ عشرِ سنواتٍ من الآن. كنتُ آملُ، في ذلكَ الوقت، أن يكون هذا التَّعريفُ الموحَّدَ الذي سيستعملهُ الجميع. لقد شدَّني التَّعريفُ لأنَّهُ لم يتعامل مع الرِّجالِ بوصفهم أعداء. حينَ نَسِمُ التَّمييزَ على أساس الجنس بأنَّهُ المشكلة، نجدُ أنَّنا انتقلنا مباشرة إلى لبِّ الموضوع. من الناحية العملية، هو تعريف يشير إلى أنَّ كلَّ التفكير والأفعال المتحيزة جنسياً هي **الإشكالُ**، سواء أكان من يكرِّسها من الإناث أم الذكور، من الأطفال أم البالغين. كما أنه تعريفٌ مسهبٌ بما يكفي بما اشتملَ عليهِ من إلمام في قراءة التمييز على أساس الجنس المؤسسي النظامي. والأهمُّ من ذَلكَ كلِّهِ، أنَّهُ تعريفٌ مفتوح. لفهم النسوية، يتعيَّنُ على المرء بالضرورة أن يفهم المقصودَ بالتمييز على أساس الجنس.

كما هو الحالُ معَ جميع أنصار السِّياساتِ النسوية، لا يفهمُ معظم الناس المقصودَ بالتَّحيُّزِ الجنسي، وإذا بلغوا درجةً من الفهم، فهم يعتقدون أنه لا يشكِّلُ مُشكلة. تعتقد جماهير النَّاس أن الحركة النسوية دائماً تتعلق بالمرأة التي تسعى إلى أن تكون متساوية مع الرجل فحسب. والأغلبية العظمى من هؤلاء الناس تعتقد أن النسوية مناهضة للذكور. يعكس سوء فهمهم للسياسات النسوية حقيقة أن معظم الناس يستقونَ معارفهم عن النسوية من وسائل الإعلام البطريركيّة.

يتم تصوير النسوية التي تتواتر على أسماعهم أكثر من قِبل النساء الملتزمات في المقام الأول بالمساواة بين الجنسين - الأجر المتساوي للعمل المتساوي، وأحياناً النساء والرجال يتقاسمونَ القيامَ بالأعمال المنزلية إضافة إلى مهامّ الأبوة والأمومة. يرون أن هؤلاء النساء عادةً ما يكنَّ من صاحبات البشَرة البيضاء ويتمتعنَ بامتيازات مادية. يتشرَّبونَ من وسائل الإعلام أفكاراً من قبيل أنَّ تحرير المرأة يركِّزُ على حرِّية الإجهاضِ وأحقِّيةَ النِّساءِ في أن يكنَّ مثليَّاتٍ ويواجهنَ الاغتصاب والعُنفَ الأسري. من بينِ هذه القضايا، تتفِقُ جماهيرُ النَّاس معَ فكرةِ المساواة بين الجنسين داخلَ فضاءِ العملِ - أجرٌ متساوٍ مقابلَ عملٍ متساوٍ.

نظراً إلى أنَّ مُجتمعنا ما يزالُ إلى اليوم مجتمَعاً ذا ثقافةٍ «مسيحيَّةٍ» في المقام الأوَّلِ، تستمرُّ جماهيرُ النَّاس في الاعتقادِ بأنَّ الرَّبَّ قد أمرَ بأن تكونَ المَرأةُ تابعةً للرَّجلِ في الأسرةِ المعيشيَّةِ. على الرَّغمِ من انضمامِ أعدادٍ كبيرةٍ من النِّساءِ إلى القوى العاملةِ، وعلى الرَّغم من وجودِ العديدَ من الأسرِ التي ترأسها نساءٌ هنَّ المعيلات الوحيداتَ، نجدُ أنَّ المفهوم الخاطئ للحركة النسوية، الذي يشير إلى أنها مناهضة للذكور، يتمسَّكُ بالفرضيَّة التي ترى أنَّ الفضاء الأنثوي بأكمله سيكون بالضرورة بيئة تغيبُ فيها النزعة البطريركيَّة والتفكير الجنسي. اختار العديد من النساء، حتى اللَّاتي لهنَّ يدٌ في السياسة النسوية، تصديق ذلك أيضاً.

كان هناك بالفعل قدر كبير من المشاعر المعادية للذكور بين الناشطات النسويات الأوائل، اللاتي كنّ يتعاملنَ مع الهيمنةِ الذُّكوريَّةِ بنوعٍ من الغضب. كان ذلك الغضب من الظلم هو الدافع لخلق حركةٍ تحرير نسائية. في وقت مبكر، كان معظم الناشطات النسويات (أغلبيتهن من البيض) واعياتٍ بطبيعةِ الهيمنة الذُّكوريَّةِ حينَ كنَّ

يعملنَ في بيئات مناهضة للطبقيَّةِ (anti-classist) والعنصرية (anti-racist) مع رجال كانوا يخاطبونَ العالم بخطاباتٍ حولَ أهمِّيَّةِ الحرية في الوقتِ الذي يُخضعونَ فيه المرأةَ لسلطتهم. سواء كنَّ نساءً بيضاً يعملن لمصلحةِ الاشتراكية، أم نساء سوداوات يعملن لمصلحةِ الحقوق المدنية وتحرير السود، أو نساء أمريكيات أصليات يعملن من أجل حقوق السكان الأصليين، كان من الواضح أن الرجال يعملونَ من أجلِ إشباعِ رغبتهم في القيادة، وجذبِ النِّساء لاتِّباعهم. لقد أيقظت المشاركة في هذه النضالات الراديكالية من أجل الحرية روحَ التَّمرُّد والمقاومة لدى الإناث التقدميات، وقادتهنّ نحو تحرير المرأة المعاصرة.

مع تقدم الحركة النِّسوية المعاصرة؛ حيث أدركت النساء أن الذكور ليسوا الفئة الوحيدة في مجتمعنا التي دعمت التفكير والسلوك الجنسيين -إنّ الإناث يمكن أن يكنَّ متحيِّزاتٍ جنسياً أيضاً- لم تعد المشاعر المعادية للذكور تشكل وعي الحركة. انصبَّ التركيز على القيام بجهد شامل لخلق العدالة بين الجنسين. لكن لم تستطع النساء التَّوحُّد لتجذيرِ الفكر النِّسوي من دون مواجهة تفكيرنا الجنساني. لا يمكن أن تكون الأختيَّة قوية طالما أنَّ النساء يخضنَ حرباً تنافسيَّةً بعضهن مع بعض.

لقد تعطَّلت الرؤى الطوباوية للأختيَّة القائمة فقط على الوعي بحقيقة أن جميع النساء وقعنَ ضحية للسيطرة الذكورية بطريقة ما، بسبب الخوضِ في نِقاشاتٍ حول مسألتي الطبقة والعرق. تمَّ الخوضُ في نقاشاتٍ حولَ الاختلافات الطبقية في وقت مبكر في النسوية المعاصرة، قبل أن يتمَّ الخوضِ في نقاشات حولَ العرق. نشرت دارُ ديانا برس للنَّشر رؤى ثورية حول الانقسامات الطبقية بين النساء في وقت مبكر من منتصف السبعينيات في سلسةٍ بعنوانِ **«الطبقة والنسوية»**

ضمَّت العديدَ من المقالات. لم تقلل هذه النقاشات من الإصرار النسوي على أن **«الأختيَّة قوية»**، لقد أكّدت ببساطة أنَّهُ لا يمكننا أن نصبح أخوات في النضال إلا من خلال مواجهة الطرائق التي تهيمن بها النساء -من خلال الجنس والطبقة والعرق- على النساء الأخريات واستغلالهنّ، وخلق منبرٍ سياسيٍّ يعالجُ مثلَ هذه الاختلافات.

ورغمَ أنَّ النساء السود كنّ ناشطات في الحركة النسوية المعاصرة منذ بدايتها، لم يكنَّ من النَّاشطاتِ اللَّاتي أصبحنَ «نجوم» الحركة، اللَّواتي جذبنَ انتباه وسائل الإعلام. غالباً ما كانت النساء السود الناشطات في الحركة النسوية نسويات ثوريات (مثل العديد من السحاقيات البيض). لقد كُنَّ بالفعل على خلاف مع النسويات الإصلاحيات، اللواتي أردن بعزم تقديمَ رؤية للحركة على أنها تتمحورُ أساساً حولَ حصول النساء علىً المساواة مع الرجال في النظام الحالي. حتى قبل أن يصبح العرق موضوعاً يتم الحديث عنه في الدوائر النسوية، كان من الواضح للنساء السود (ولحلفائهنّ الثوريين في النضال) أنّهن لن يتمتعن أبداً بالمساواة داخل البطريركيَّة الرأسمالية القائمة على تفوُّقِ البيض.

كانت الحركة النسوية مستقطبة منذ بدايتها الأولى. اختار المفكرون الإصلاحيون تأكيد المساواة بين الجنسين. لم يرغب المفكرون الثوريون ببساطة في تغيير النظام الحالي؛ حيث تتمتّع المرأة بمزيد من الحقوق. أردنا تغيير هذا النظام، لوضع حدّ للسلطة البطريركيَّة والتمييز على أساس الجنس. لم تكن وسائل الإعلام البطريركيَّةِ مهتمّة بالرؤية الأكثر ثورية، ولم تحظ الحركةُ باهتمام الصّحافة الرَّائجة حينها. كانت رؤية «تحرير المرأة»، التي استحوذت ولا تزال تسيطر على المخيلة العامة، هي تلك التي تصوِّر النساء على أنهنّ يرغبنَ في الحصولِ على

ما يمتلكه الرجال. وكانت هذه هي الرؤية التي كان من السَّهل تحقيقها. لقد جعلت التغييرات التي كانَ يشهدها الاقتصاد، والكساد الاقتصادي، وفقدان الوظائف، وما إلى ذلك من المشكلات، المناخ مهيّئاً لمواطني أمتنا لقبول فكرة المساواة بين الجنسين في القوى العاملة.

بالنظر إلى حقيقة العنصرية، كان من المنطقي أن يكون الرجال البيض أكثر استعداداً للنظر في حقوق المرأة عندما يكون منح هذه الحقوق في مصلحة الحفاظ على تفوق البيض. لا يمكننا أبداً أن ننسى أنّ النساء البيض بدأنَ في تأكيد حاجتهنّ إلى الحرية بعد الحقوق المدنية، فقط في الوقت الذي كان فيه التميز العنصري قد انتهى، وكان السود، ولا سيما الذكور السود، قد حقّقوا المساواة في القوى العاملة مع الرجال البيض. طغى التفكير النسوي الإصلاحي، الذي يركز بشكل أساسي على المساواة مع الرجال في القوى العاملة، على الأسس الراديكالية الأصلية للنسوية المعاصرة، التي دعت إلى الإصلاح وإعادة الهيكلة الشاملة للمجتمع حتى تكون أمتنا مناهضة للتمييز الجنسي بشكل أساسي.

توقف معظم النساء، ولاسيما النساء البيض المتميزات، حتى عن التفكير في الرؤى النسوية الثورية، بمجرد أن بدأنَ في اكتساب القوة الاقتصادية داخل الهيكل الاجتماعي القائم. ومن المفارقات أن التفكير النسوي الثوري كان أكثر قبولاً واحتضاناً في الأوساط الأكاديمية. في تلك الدوائر، تقدَّمت النظرية النسوية الثورية، ولكن في كثير من الأحيان لم تكن تلك النظرية متاحة للجمهور. لقد أصبحت ولا تزال خطاباً متميزاً متاحاً لمن هنَّ على درجةٍ تعلميَّةٍ عالية، وعادة ما كنَّ يتمتَّعن بامتيازات ماديّة. لم تحظَ الكتب، من قبيل **«النظرية**

النسوية: من الهامش إلى المركز»، التي تقدم رؤية تحررية للتَّحوُّل النسوي، بالاهتمام الضَّروري. لم تسمع جماهير الناس بهذا الكتاب، ولم يرفضوا رسالتَهُ؛ لأنَّهم ببساطةٍ لا يعرفون ما هي الرسالة. كانت مصلحة النظام البطريركي الرأسمالي الأبيض السائد قمع التفكير النسوي الذي يحملُ رؤيةً مغايرةً، التفكيرُ الذي لم يكن معادياً للذكور أو مهتماً بمنح المرأة الحق في أن تكون مثل الرجل، كانت النسويات الإصلاحيات حريصات أيضاً على إسكات هذه القوى. أصبحت الحركة النسوية الإصلاحية طريقهم إلى الحراك الطبقي، فمن خلالِ الحركة النِّسوية يمكنهنَّ أن يتحرَّرنَ من الهيمنة الذُّكوريَّةِ في القوى العاملة، وأن يكونَ لهنَّ الحقّ في اتِّخاذِ القرارِ الذي يُردنَ في حياتهنَّ.

لم ينتهِ التحيّزُ الجنسي، في المقابل كانَ في وسعِ النِّسويات أن يَرفعنَ من منسوبِ حرِّيتهنَّ في ظلِّ النِّظام القائم؛ إذ كانَ يمكنهنَّ الاعتماد على وجود طبقة أدنى من النساء الخاضعات المستغلات للقيام بالأعمال القذرة، التي يرفضنَ القيام بها. من خلال قبول تبعية الطبقة العاملة والنساء الفقيرات والتواطؤ معها، فَهُنَّ لا يتحالفنَ مع النظام البطريركي القائم والتميز الجنسي المصاحب له فقط، بل يمنحن أيضاً أنفسهنَّ الحق في عيش حياة مزدوجة. في الحياة الأولى يكنَّ متساويات مع الرِّجال في فضاءات العمل. أمَّا الحياة الثانية فتكمنُ في المنزلِ؛ حيثُ تظلُّ حرِّيتهنَّ رهينةَ إرادتهنَّ. إذا اخترنَ النَّزعةَ السّحاقيةَ، فإنهنَّ يتمتعن بامتياز أن يكنَّ متساويات مع الرجال في القوى العاملة أثناء استخدام سلطةِ الطَّبقةِ لخلق أنماط حياة منزلية؛ حيث يمكنهنَّ اختيار التقليل من روابط الاتِّصال بالرجال، أو التَّخلُّصِ من وجودهم نهائياً.

بشَّرت نسويَّةُ **أسلوب الحياة** بإمكانيَّةِ وجودِ العديد من الأصناف من النسوية مثلما يوجد العديد من أصناف النساء. فجأة تمَّ التَّخلي عن المسائل السِّياسية تدريجياً من قبل الحركة النِّسوية. سادت فرضيَّةٌ مفادها أنَّهُ مهما كانت توجُّهات المرأة النِّسويَّةِ، سواء أكانت محافظةً أم ليبراليَّةً، سوفَ تؤقلمُ توجُّهها النِّسوي في أسلوبِ حياتها القائم. من الواضحِ أنَّ نمطَ التَّفكيرِ هذا قد جعلَ من النِّسويَّة أكثرَ مقبوليَّةً، وذلكَ لما تحملهُ من فرضيَّة ضمنيَّةٍ مفادها أنَّ النِّساء يمكنهنَّ أن يكنَّ نسويَّات من دون تحدِّي أو تغيير أنفسهنَّ أو ثقافتهنَّ بشكلٍ أساسي. لنأخذ مثلاً قضيَّة الإجهاض. إذا كانت النِّسويَّةُ حركةً ترمي إلى إنهاءِ الاضطهاد على أساس الجنس، وحرمان الإناث من حقوقهنَّ الإنجابية هو شكل من أشكال الاضطهاد الجنسي، فلا يمكن أن يكون المرء مناهضاً للإجهاض، ويمكنه في المقابل أن يكون نسوياً. يمكن للمرأة أن تتمسَّكَ بخيار عدَم القيام بعمليَّةِ إجهاض مطلقاً، ويمكنها، في المقابلِ، أن تؤكِّد دعمها لَحق المَرأة في اتِّخاذ القرار الذي تريدهُ، وأن تظل مدافعةً عن السِّياسات النسوية. لا يمكن أن تكون مناهضة للإجهاض ومدافعةً عن النسوية في وقتٍ واحدٍ. في الوقتِ نفسهِ، لا يمكنُ أن يكونَ ثمَّةَ مثيلٌ «لسلطة النِّسويَّة» إذا كانت رؤية السُّلطةِ المستحضرة هنا هي السُّلطةُ التي استمدَّتها المرأةُ من الاستغلال والاضطهادِ المسلَّطِ عليها من قبل الآخرين.

تفقدُ السِّياسات النِّسويَّةُ زخمها؛ لأنَّ الحركة النِّسويَّة قد فقدت التَّعريفات الواضحة. لدينا تلكَ التَّعريفات وعلينا تعديلها وتشريحها والبداية من جديد. فليكن لدينا قمصانٌ وملصقاتٌ ضخمةٌ، وبطاقات بريديَّةٌ، وموسيقا هيب هوب، وقنوات وإذاعات تجاريَّةٌ، وإعلاناتٌ في

كلِّ مكانٍ، ولوحاتٌ إعلانيَّة، وكلّ أصنافِ المواد المطبوعةِ التي تعرِّفُ العالمَ على النِّسويَّةِ. يمكننا مشاركة رسالة بسيطة وقوية: إنَّ النسوية هي حركة تهدفُ إلى إنهاء الاضطهاد على أساس الجنس. لنبدأ من هناك.

دع الحركة تولدُ من جديد.

التّوعية: تغيير مستمرٌ للقلب

لا يولدُ البشرُ وهم نسويوُّن، بل يصبحونَ كذلكَ. لا يمكنُ للمرأةِ أن تكونَ مدافعةً عن السِّياسات النِّسويَّةِ؛ لأنَّهَا، ببساطةٍ، وُلدت أنثى فقط. مثلَ كلِّ المواقف السِّياسيَّةِ، تصبحُ المرأةُ مؤمنةً بالسِّياسات النِّسويَّة من خلالِ اتِّخاذِ القرار والمشاركة في الفعل. عندما نُظِّمت النِّساء لأوَّل مرة في مجموعات للتحدث معاً حول مسألة التحيز الجنسي والهيمنةِ الذُّكوريَّةِ، كان واضحاً أن الإناث كن مؤهَّلاتٍ اجتماعياً للإيمانِ بالتَّفكيرِ الجنسي والقيم مثل الذكور، وكان الاختلاف ببساطة هو أن الذكور استفادوا من التحيز الجنسي أكثر من الإناث، والنَّتيجة أنَّهم كانوا يجدونَ صعوبةً في التخلي عن الامتياز البطريركي. قبل أن نتمكن نحن -النساء- من تغيير النظام البطريركي، كان علينا تغيير أنفسنا؛ كان علينا أن نرتقي بوعينا.

شدَّدت التوعية النِّسويَّة الثَّورية على أهمية قراءة النِّظام الأبوي بوصفهِ نظامَ هيمنةٍ، وكيف تمأسسَ وتمَّ تكريسهُ وترسيخهُ. لقد خلقَ فهم الطريقة التي يتم التعبير بها عن الهيمنة الذُّكوريَّة والتمييز على أساس الجنس في الحياة اليومية، وعياً لدى النساء بطرقِ الاستغلال التي تركتنا مجرَّد ضحايا وفي أسوأ السيناريوهات فريسةً للاضطهاد.

في وقت مبكر من الحركة النسوية المعاصرة، غالباً ما أصبحت مجموعات التوعيةِ أماكن تطلق فيها النساء العنان للعداء المكبوت والغضب من الوقوع ضحية، ولكن مع تركيز ضئيل أو معدوم على استراتيجيات التدخل والتحول. على المستوى الأساسي، استخدم العديد

من النساء المجروحات والمستغلات مجموعة التَّوعية علاجياً. كان ذلكَ هو المكان الذي كشفنَ فيه علانية عن أعماق جروحهنَّ الحميمة. كان هذا الجانب الاعترافي بمنزلة طقوس شفائيَّةٍ. من خلال حملات التوعية اكتسبت النساء القوة لتحدي القوى الأبوية في العمل والمنزل. والأهم من ذلك أنَّ هذا العمل قد تأسَّسَ على دراسة النساء للتفكير الجنسي ووضع استراتيجيات يمكننا من خلالها تغيير مواقفنا ومعتقداتنا من خلال التحول إلى التفكير النسوي والالتزام بالسياسة النسوية.

بشكلٍ عام، كانت مجموعة التوعية موقعاً للتحول. لبناء حركة نسوية جماهيرية، احتاجت النساء إلى التنظيم. كانت حصص التَّوعية، التي كانت تُعقد عادةً في منزل شخص ما (بدلاً من الأماكن العامة التي يجب استئجارها أو التبرع بها)، مكان الاجتماع الذي يمكن فيه للمفكرات والناشطات النسويات المخضرمات تأطير النِّسويات الجدد.

والأهم من ذلك أنَّ التواصل والحوار كانا من الأجندة المركزية في جلسات التَّوعية. في العديد من المجموعات، كانت هناك سياسة تكرم صوت الجميع. تناوبت النساء على التحدث ليتأكد أنّ الجميع سيُسمع. هذه المحاولة لخلق نموذج غير هرمي للمناقشة بشكل إيجابي أعطت كل امرأة فرصة للتحدث، لكنها، في كثير من الأحيان، لم تخلق سياقاً للحوار التَّفاعلي. ورغم ذلك، في معظم الحالات، كان النقاش أو الجدلُ يحدث عادة بعد أن يتحدث الجميع مرة واحدة على الأقل. كانت المناقشة الجدلية شائعة في مجموعات التَّوعية؛ لأنها كانت الطريقة التي سعينا من خلالها إلى توضيح فهمنا الجماعي لطبيعة الهيمنة الذكوريَّةِ. من خلال المناقشة والاختلاف فقط يمكننا أن نشرعَ في إيجاد وجهة نظر واقعية حول الاستغلال الجندري والاضطهاد.

نظراً إلى أن التفكير النسوي قد تمظهرَ في البداية في مَجموعات صغيرة؛ حيث كان الأفراد غالباً ما يعرفون بعضهم البعض (ربما عملوا معاً و/أو كانوا أصدقاء)، بدأَت عمليَّةَ التنظير في المواد المطبوعة وذلكَ من أجل الوصول إلى جمهور أوسع، ليتمَّ بعدَ ذلكَ تفكيك المجموعات. وفَّرَ إحداث دراسات المرأة كنظام أكاديمي بيئة مغايرةٍ؛ حيث يمكن تعريف النساء بالتفكير النسوي والنظرية النسوية. كان العديد من النساء، اللاتي قمن بتقديم دروس دراسات المرأة في الكليات والجامعات، ناشطات راديكاليات في نضالات الحقوق المدنية، وحقوق المثليين، والحركة النسوية المبكرة. لم يكن الكثير منهنَّ حاصلات على درجة الدكتوراه، ما يعني أنهنَّ التحقنَ بالمؤسسات الأكاديمية، وحصلنَ على رواتب أقل، وعملنَ لساعات أطول من زملائهنَّ في التخصصات الأخرى. بحلول الوقت الذي انخرطَ فيه طلاب الدراسات العليا الأصغر سناً في الجهود المبذولة لإضفاء الشرعية على المنح الدراسية النسوية في الوسطِ الأكاديمي، كنا نعلم أنَّهُ من المهم الحصول على درجات أعلى. اعتبر معظمنا التزامنا بدراسات المرأة بمنزلة النَّشاطِ السِّياسي. كنا مستعدَّات للتضحية من أجل خلق قاعدة أكاديمية للحركة النسوية.

بحلول أواخر السبعينيات، كانت دراسات المرأة في طريقها لتصبح تخصصاً أكاديمياً مقبولاً. طغى هذا الانتصار على حقيقة أن العديد من النساء اللواتي مهَّدن الطريق لإضفاء الطابع المؤسساتي على دراسات المرأة قد تمّ فصلهن لأنهن حصلن على درجة الماجستير وليس الدكتوراه. بينما عاد بعضٌ منَّا إلى المدرسة العليا للحصول على درجة الدكتوراه، لم تقم من هنَّ أفضل وأذكى منَّا بذلك؛ لأنهنَّ أُصبنَ بخيبة أمل تامة من الجامعة، وسقطنَ فريسةً لإرهاق العمل، إضافة إلى خيبة أملهنَّ وغضبهنَّ

من السياسات الراديكالية التي تدعم دراسات المرأة، والتي تمَّ استبدالها بنزعةٍ إصلاحيَّةٍ ليبراليَّةٍ. لم يمض وقت طويل حتى حلّ فصل دراسات النساء محلّ مجموعة التوعية المجانية المتاحة للجميع، في حين أن النساء من خلفيات مختلفة، أولئك اللواتي عملن ربّات بيوت أو في وظائف خدمية فحسب، والنساء العاملات الكبيرات، يمكن العثور عليهن في مجموعات توعية متنوعة. كانت الأكاديمية ولا تزال موقعاً للامتياز الطبقي. اكتسبت النساء البيض المتميزات من الطبقة الوسطى، اللاتي كنَّ يُمثلنَ أغلبية عددية، وإن لم يكنّ بالضرورة القائدات الراديكاليات للحركة النسوية المعاصرة العشر، مكانةً بارزة؛ لأنَّ الأدوات الإعلاميَّة الجماعية قد التفتت إليهنَّ بوصفهنَّ ممثلات للنضال.

غالبًا ما فقدت النساء ذوات الوعي النسوي الثوري، وكثير منهنّ مثليات ومن خلفيات الطبقة العاملة، فرصةَ الظهور في وسائل الإعلام حيث تلقّت الحركة اهتماماً رئيسياً. اكتملت إزاحتهنَّ بمجرد أن ترسخت دراسات المرأة في الكليات والجامعات التي تُعدُّ هياكل مؤسساتيَّة محافظة. بمجرد أن حل فصل دراسات المرأة محل مجموعة التَّوعية كموقع أساسي لنقل التفكير النسوي واستراتيجيات التغيير الاجتماعي، فقدت الحركة إمكاناتها الجماهيرية. وفجأة بدأت الكثير من النِساء إمّا في تعريفِ أنفسهنَّ بوصفهنَّ «نسويات» وإمَّا في استخدام خطاب التمييز بين الجنسين لتغيير وضعهن الاقتصادي. خلق إضفاءَ الطابع المؤسساتي على الدراسات النسوية مجموعة من الوظائف في كلٍّ من الوسطِ الأكاديمي وعالم النشر. أدَّى تفكيك مجموعات التَّوعيةَ إلى محو الفكرة القائلة بأنَّ على المرء أن يأخذَ دروسًا عن النسوية، واتخاذ قرار مستنير حول تبني السياسة النسوية، ليصبح مدافعاً عن النسوية.

من دون مجموعة التَّوعية، بوصفها موقعاً تواجه فيه النساء تمييزهنّ الجنسي تجاه النساء الأخريات، يمكن أن يتحول اتجاه الحركة النسوية إلى التركيز على المساواة في القوى العاملة، ومواجهة الهيمنة الذكوريَّة، مع زيادة التركيز على وضعيَّة المرأة، باعتبارها «ضحية» للمساواة بين الجنسين تستحق التعويضات (سواء من خلال التغييرات في القوانين التمييزية أم سياسات العمل الإيجابي) انتشرت الفكرة القائلة بأنَّ النساء بحاجة أولاً إلى مواجهة التميز الجنسي المبطَّن لديهن بوصفهِ جزءاً من فرضيَّةٍ أن يصبحن نسويات خاسرات. تصرفت النساء من جميع الأعمار وكأن القلق أو الغضب من الهيمنة الذكوريَّةِ أو المساواة بين الجنسين هو كل ما نحتاج إليه لجعل المرأة «نسوية». من دون مواجهة التميز الجنسي المبطَّن، غالباً ما كانت النساء اللواتي حملنَ لواءَ النسوية يخنَّ الدَّافع الذي دفعهنَّ إلى النِّضال، فقد تجلَّى ذلكَ بالخصوص في تفاعلهن مع النساء الأخريات. بحلول أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، كان استحضار الأختيَّةِ المسيَّسة (politicized sisterhood)، وهو أمر بالغ الأهمية في بداية الحركة النسوية، قد فقد معناه؛ حيث طغت الحركة النسوية، القائمة على نمط الحياة، على ميدان السياسة النسوية الراديكالية، التي تصوَّرت أن أي امرأة يمكن أن تكون نسوية بغض النظر عن معتقداتها السِّياسيَّةِ، وغني عن القول أنَّ مثل هذا التفكير قد قوَّض النظرية والممارسة النسوية والسياسات النسويَّة. عندما تجدد الحركة النسوية نفسها، وتعزِّز بشكلٍ متواصلٍ استراتيجياتها التي ستمكن الحركة الجماهيرية من إنهاء التميز الجنسي والاستغلال والقمع الجنسي المسلَّط على الجميع، ستكتسب التَّوعية مرَّةً أخرى أهميَّتها الأصيلة.

إذا قمنا بمقارنةٍ فعَّالةٍ معَ نموذج اجتماعات مدمني الكحول المجهولين، فستجدُ مجموعات التَّوعية النسوية مكاناً لها في المجتمع؛ حيث تقدم رسالة التفكير النسوي للجميع بغضّ النظر عن الطبقة أو العرق أو الجنس.

إن التَّوعية النسويَّة للذكور ضروريَّةٌ للحركة الثورية مثلها مثل المجموعات النسائية. لو كان هناك تركيز على مجموعات من الذكور تقومُ بتعليم الأولاد والرجال ماهية التحيز الجنسي، وكيف يمكن تغييره، لكان من المستحيل على وسائل الإعلام تصوير الحركة على أنها مناهضة للذكور، ولكان من شأنه أيضاً أن يحول دون تشكيل حركة الرجال المناهضة للنسوية. غالباً ما تشكلت مجموعات الرجال في أعقاب الحركة النسوية المعاصرة، التي لم تعالج، بأي شكل من الأشكال، قضايا التحيز الجنسي والهيمنة الذكوريَّةِ، مثل الحركة النسوية القائمة على نمط الحياة، التي تستهدف النساء. غالباً ما أصبحت هذه المجموعات فضاءاتٍ علاجية للرجال لمواجهة جراحهم دون انتقاد النظام الأبوي، أو منصةً مقاومة للهيمنة الذكورية. لن ترتكب الحركة النسوية المستقبلية هذا الخطأ. فالذكور من جميع الأعمار في حاجةٍ إلى أماكن يتم فيها تأكيد مقاومتهم للتحيّز الجنسي وتقييمها. لن تتقدم الحركة النسوية من دون الذكور بوصفهم حلفاء في النضال. كما يجب علينا القيام بالكثير من العمل لتصحيح الفرضيَّة التي ترسَّخت بعمق في النفس الثقافية بأن النسوية مناهضة للذكور. النسوية مناهضة للتمييز على أساس الجنس. فالرجل الذي تجرد من امتياز الذكر، والذي اعتنق السياسة النسوية، هو رفيق جدير في النضال، ولا يشكل بأيِّ حال تهديداً للنسوية، في حين أنّ الأنثى، التي لا تزال متمسكة

بالتفكير الجنسي، والسلوك المشين الذي تسلل إلى الحركة النسوية، تشكل تهديداً خطيراً. من الواضحِ أنَّ أقوى تدخل قامت به مجموعات التَّوعية هو مطالبة جميع الإناثَ بمواجهة تمييزهنّ الجنسي المُبطَّن، وولائهنّ للتفكير والعمل الأبوي، والتزامهنّ بالتحول النسوي. لا تزال هناك حاجة إلى هذا التدخل. تبقى الخطوة الضرورية لأيّ شخص يختار السياسة النسوية. يجب أن يتغير العدو المبطَّن قبل أن نتمكن من مواجهة العدو الخارجي. إنَّ العدوّ هو الذي يشكِّلُ تهديدًا هو الفكر والسلوك الجنسي. فطالما حملت الإناث راية السياسة النسوية دون معالجة وتغيير التحيُّز الجنسي الكامن داخلهنًّ، سوف يتمّ تقويض الحركة في نهاية الأمر.

الأخنتيَّةُ مازالت قويَّةً

عندما تم استخدام شعار «**الأختيَّةُ قويّة**» لأول مرة، كان الأمرُ مذهلاً. بدأت مشاركتي الكاملة في الحركة النسوية في سنتي الثانية في الكلية. فقد التحقت بكلية الفتيات لمدة عام، قبل انتقالي إلى جامعة ستانفورد. عرفت من خلالِ التجربة المباشرة الاختلاف في احترام الذات لدى الإناث، وتأكيد الذات في الفصول الدراسية، التي تضمُّ الجنس نفسه مقابل تلك التي يوجدُ فيها ذكور.

في جامعة ستانفورد يحكم الذكور اليوم في كلّ فصل دراسي، حيثُ يخفتُ صوتُ الإناث، ويقدِّمن مبادرات أقل، وفي كثير من الأحيان عندما يتحدثنَ، يكاد يُسمع ما يقلْنهُ؛ فأصواتهنّ تفتقر إلى القوَّة والثقة. ولجعل الأمور أسوأ، أخبرنا الأساتذةُ الذكور مراراً وتكراراً أننا لم نكن ذكيَّات مثل الذكور، وأننا لا يمكن أن نكون مفكرات وكاتباتٍ «عظيمات» وما إلى ذلك. صدمتني هذه المواقف منذ مجيئي من بيئة نسائية بالكامل؛ حيث تم باستمرار تأكيد قيمتنا الفكرية واستحقاقنا من خلال معيار التميز الأكاديمي، الذي وضعته أستاذاتنا في الأغلب لنا ولأنفسنا.

في الواقع، كنت مدينةً لأستاذَتي الإنجليزية ذات البشرةِ البيضاءِ، التي كانت المفضلة لديَّ، فقد اعتقدت أنني لا أحظى بالتوجيه الأكاديمي الذي أحتاجُ إليه في كلية البنات لدينا؛ لأنَّ الأساتذة لا يمتلكونَ برنامجَ كتابة مكثفاً. شجعتني على الالتحاق بجامعةِ ستانفورد. لقد اعتقدت أنني سأكون يوماً ما مفكرة وكاتبة مهمة.

في ستانفورد كانت قدرتي محلَّ شكوكٍ باستمرار؛ ولهذا بدأت أشكُّ في نفسي، ولكن سرعانَ ما هزَّت الحركة النسوية الحرم الجامعي؛ فقد إذ طالبت الطالبات والأساتذة بوضع حدّ للتمييز على أساس الجنس داخل وخارج قاعة الدَّرس. واو، لقد كانت فترةً مشحونةً ورائعَةً. هناك أخذت أول فصل دراسي لدراسات المرأة مع الكاتبة تيلي أولسن، التي أجبرت طلابها على التفكير أوّلاً، وقبل كلِّ شيء، في مصير النساء اللاتي ينتمينَ إلى الطبقة العاملة.

هناك وزعت الباحثة وكاتبة سيرة الشَّاعرةِ الإنجليزيَّةِ «آن سيكستون»، ديان ميدلبروك، إحدى قصائدي على صفِّنا أثناء درسٍ حولَ الشعر المعاصر دون أن تكتب اسمي عليها، وطلبت منا تحديد ما إذا كان الكاتب ذكراً أو أنثى، وهي تجربة جعلتنا نفكِّرُ بشكل نقديٍّ في الحكم على قيمة الكتابة على أساس التحيز الجنسي. هناك بدأتُ في تأليف كتابي الأوَّل في سنّ التاسعة عشرة (ألستُ امرأة: النساء السود والنسوية). لم تكن أيّ من هذه التحولات المذهلة لتحدث لولا قيام الحركة النسوية ببناءِ منظَّمةٍ للتَّضامن بين النساء.

تأسست هذه المنظَّمة بناءً على نقدنا ما أسميناه في وقتٍ لاحقٍ «العدو المبطَّن»، في إشارة إلى التَّحيّز الجنسي المبطَّن. لقد عرفنا جميعاً بشكل مباشر أننا قد نشأنا اجتماعياً بوصفنا نساءً وفقَ التفكير الأبوي لنرى أنفسنا أدنى منزلة من الرجال، لنرى أنفسنا كما هو الحال دائماً وفقط في منافسة مع بعضنا البعض للحصول على الموافقة الأبوية، للنظر إلى بعضنا البعض بمشاعرَ من قبيل الغيرة والخوف والكراهية. جعلنا التفكير الجنسي نحكم على بعضنا البعض من دون شفقة، ونعاقب بعضنا البعض بقسوة. ساعدنا التفكير النسوي في التخلص من

كراهية الذات الأنثوية. لقد مكننا من التحرر من سيطرة التفكير الأبوي على وعينا.

كان الترابط بين الذكور جانباً مقبولاً ومؤكداً للثقافة الأبوية. ببساطةٍ، كانت الفرضيَّة قائمةً على فكرةٍ أنَّ الرجال المنظَّمين في مجموعات سوف يلتصقون ببعضهم البعض، ويدعمون بعضهم البعض، ويكونون لاعبين في الفريق، ويُعْلونَ مصلحة المجموعة على المكاسب الفردية وجلب الاعتراف. لم يكن الترابط بين الإناث ممكناً في النظام الأبوي؛ كان يعدُّ عملاً من أعمالِ الخِيانة. خلقت الحركة النسوية سياقاً لخلقِ ترابطٍ أُنثويّ. نحن لم نرتبط بالرجال، بل كنَّا نحمي مصالحنا بوصفنا نساءً. عندما تحدَّينا الأساتذة، الذين لم يدرسوا أي كتبٍ كُتبت من قبلِ النساء، لم يكن ذلك لأننا لم نكن نحب هؤلاء الأساتذة (غالباً ما فعلنا ذلك)؛ لكنَّنا، في الواقعِ، أردنا وضع حدّ للتحيز بين الجنسين في الفصل وفي المناهج الدراسيةِ.

كانت التحوّلات النسوية، التي تحدث في كلِّيتنا المختلطة في أوائل السبعينيات، تحدث أيضاً في عالم المنزل والعمل. أوَّلاً، وقبل كل شيء، حثَّت الحركة النسويةٍ النساء على عدم اعتبار أنفسنا وأجسادنا ملكاً للرجال. للمطالبة بالتَّحكُّمِ في حياتنا الجنسية، وتحديد النسل الفعال والحقوق الإنجابية، ووضَع حد للاغتصاب والتحرش الجنسي، كان علينا أن نقف متضامناتٍ. ولكي تحدث النِساء تغييراً على مستوى التمييز الوظيفي، كنا في حاجة إلى الضغط كمجموعة لتغيير السياسة العامَّة. كان تحدّي التفكير الجنسي الأنثوي وتغييره الخطوةَ الأولى نحو تأسيس حركة الأختيَّةِ القويَّةِ، التي من شأنها أن تهز أمَّتنا في نهاية المطاف. في أعقاب ثورة الحقوق المدنية، غيرت الحركة النسوية في

السبعينيات والثمانينيات وجه أمَّتنا، فقد اهتمت الناشطات النسويات اللواتي أحدثنَ هذه التغييرات برفاهية جميع الإناث. لقد فهمنا أن التضامن السياسي بين الإناث المعبَّر عنه في الأختيَّةِ يتجاوز الاعتراف الإيجابي بتجارب النساء، وحتى التعاطف المشترك إزاءَ المعاناة المشتركة.

إنَّ الأختيّة النسوية متجذِّرةٌ في الالتزام المشترك بمكافحة الظلم الأبوي، بغض النظر عن الشكل الذي يتخذه الظلم. يقوِّض التضامن السياسي بين النساء دائماً التحيّز الجنسي، ويمهِّدُ الطريق للإطاحة بالنظام الأبوي. بشكل ملحوظ، لم يكن من الممكن أن تكون الأختيّة ممكنة عبر وضعِ حدودٍ بين العرق والطبقة، إذا لم تكن فرادى النساء على استعداد للتَخلي عن سلطتهن للهيمنةِ على المجموعات النسائية التابعة لهنَّ واستغلالها. طالما أن النساء يستخدمن القوة الطبقية أو العرقية للسيطرة على النساء الأخريات، لا يمكن تحقيق الأختيَّة النسوية بالكامل.

مع شروعِ المزيد من النساء، بنوعٍ من الانتهازيَّةِ، في المطالبة بحركةٍ نسويَّةٍ في الثمانينياتِ دون الخضوع لمرحلةِ التَّوعيةِ النِّسويَّةِ، التي كان من شأنها أن تمكّنهنَّ من التخلص من التمييز الجنسي لديهنّ، إن الافتراض الأبوي القائل إن القوي يجب أن يحكم على الضعيف قد بيَّنَ علاقاتهنّ بالنساء الأخريات. عندما بدأت النساء، ولاسيما النساء البيض المحروماتِ سابقاً، في اكتساب سلطة طبقية دون تجريدهنّ من التمييز الجنسي المبطَّنِ لديهن، اشتدت الانقسامات بين النساء.

عندما انتقدت النساء الملوناتُ العنصرية داخل المجتمع ككل، ولفتنَ الانتباه إلى الأساليب التي شكّلت بها العنصرية النظرية والممارسة

النسوية وصَوَّرتها، أدار العديد من النساء البيض ظهورهنّ ببساطة إلى رؤية الأختيَّةِ، وأغلقن عقولهن وقلوبهن. حدثَ ذلكَ أيضاً عندما ارتبطَ الأمر بالمسألة الطبقية بين النساء.

أتذكر عندما ناقشت النساء النسويات، ومعظمهنّ من النساء البيض ذوات الامتياز الطبقي، مسألة ما إذا كان يجب توظيف عاملةٍ منزليّة أو لا، في محاولة للتوصل إلى طريقة لعدم المشاركة في إخضاع النساء الأقل حظاً، وتجريدهن من إنسانيتهن. نجح بعض هؤلاء النساء في خلق روابط إيجابية بينهن وبين النساء اللاتي وظّفنَ؛ حيث يمكن أن يكون هناك تقدُّمٌ متبادل في سياق أكبر من عدم المساواة. وبدلاً من التخلي عن رؤية الأختيّة؛ لأنهنَّ لم يتمكنَّ من الوصول إلى وضع طوباويّ؛ قمنَ بتأسيسِ أختيَّةٍ حقيقيّة راعت احتياجات جميع النِساء المعنيَّات. كانَ تحقيقُ تضامُنٍ نسويّ بين النِساء مهمَّة شاقَّةً. للأسف، مع اشتداد النَّزعة الانتهازية داخل الحركة النسوية؛ حيث أصبحت المكاسب النسوية شائعة، ومن ثَمّ تم اعتبارها أمراً مفروغًا منه، لم يرغب العديد من النساء في العمل الجاد لخلق التضامن والحفاظ عليه.

تخلت مجموعة كبيرة من النساء ببساطة عن فكرة الأختيَّة وجذبنَ النساء اللاتي كن ينتقدن النظام الأبوي ويتحدينَ مواءمة أنفسهن مع الرجال المتحيزين جنسياً. كانت النساء الراديكاليات، اللاتي شعرن بالخيانة بسبب المنافسة السلبية الشرسة بين النساء، غالباً ما يتراجعن ببساطة. وفي هذه المرحلة، أصبحت الحركة النسوية، التي كانت تهدف إلى إحداث تغيير إيجابي في حياة جميع الإناث، أكثر طبقيَّةً. يبدو أن رؤية الأختيَّة، التي كانت صرخة استنفارٍ للحركة، لم تعد مهمَّةً بالنسبة إلى العديد من النساء. كانَ التضامن السياسي بين النساء، الذي كان القوة

التي أدَّت إلى إحداثِ تغييرٍ إيجابيّ، لا يزال يتعرض للتقويض والتهديد باستمرار. نتيجة لذلك، نحن في حاجة إلى التزام متجدد بالتضامن السياسي بين النساء كما كنا عندما بدأت الحركة النسوية المعاصرة.

عندما انطلقَ نشاط الحركة النسوية المعاصرة، كانت لدينا رؤية للأختيَّة، لكنَّها مجرَّدة من فهم ملموس للعمل الفعلي الذي نحتاج إلى القيام به لجعل التضامن السياسي حقيقة واقعة. من خلال الخبرة والعمل الجاد، ونعم، من خلال التعلم من إخفاقاتنا وأخطائنا، اكتسبنا هيكلاً نظرياً وسجلاً من الممارسات المشتركةِ، التي يمكن أن تعلِّم المنتقلاتِ الجديدات إلى السياسة النسوية ما يجب القيام به لخلق قيمةِ التَّكافل والحفاظ عليها وحمايتها. نظراً إلى أن جماهير الشابات لا يعرفن سوى القليل عن النسوية، ويفترض الكثيرون خطأً أن التمييز على أساس الجنس لم يعد يمثل مشكلة، يجب أن يكون التعليم النسوي للوعي النقدي مستمراً. لا يمكن للمفكرات النسويَّات الأكبر سناً أن يفترضنَ أنَّ الشابات سيكتسبن فقط معرفة نسويَّةً مستقبلًا يحتجنَ دونَ توجيه. بشكل عام، تنسى النساء في مجتمعنا قيمة الأختيَّةِ وقوَّتها. يجب أن ترفع الحركة النسوية المتجددة اللافتة عالياً مرَّةً أخرى لتعلن من جديد **«الأختيَّة قوية»**.

تواصل المجموعات الراديكالية من النساء التزامنا ببناء الأختيَّةِ، لجعل التضامن السياسي النسوي بين النساء حقيقة واقعة. نواصل إحداث ترابُطٍ بين العرق والطبقة، ونستمرُّ في وضع التفكير والممارسة المناهضين للجنس، الذي يؤكد حقيقة أن الإناث يمكن أن يحققن الذات والنجاح دون السيطرة على بعضهن البعض. ومن حسن حظنا أن نعرف كل يوم في حياتنا أن الأختيَّةِ ممكنةٌ بشكل ملموس، وأنَّ الأختيَّة لا تزال قويَّةً.

تعليمٌ نسويٌّ من أجل وعيٍ نقدي

قبل فصول دراسات المرأة، وقبل الأدب النسوي، تعرفت النساء على النسوية في مجموعات. كانت النساء في تلك المجموعات أوَّل من بدأ في إنشاء نظرية نسوية تضمَّنت تحليلاً للتمييز على أساس الجنس، واستراتيجيات لتحدي النظام الأبوي، ونماذج جديدة للتفاعل الاجتماعي. كل ما نقوم به في الحياة متجذِّرٌ في نَظريَّة. سواء كنا نستكشف بوعي الأسباب، التي تجعلنا نمتلك منظوراً معيناً، أم نتخذ إجراءً معيناً، فهناك أيضاً نظام أساسي يشكل الفكر والممارسة. كان الهدف الأساسي للنظرية النسوية، في بدايتها الأولى، شرحَ كيفية عمل التفكير الجنسي للنساء والرجال، وكيف يمكننا تحديها وتغييرها.

في تلك الأيام، كان معظمنا قد نشأ اجتماعياً من قبل الآباء والمجتمع لقبول التفكير الجنسي. لم نخصص وقتاً لمعرفة الجُذور التي بُنيت عليها تصوُّراتنا. لقد حثنا التفكير النسوي والنظرية النسوية على القيام بذلك. في البداية كانت النظرية النسوية متاحة عن طريق الكلام الشفهي، أو في النشرات الإخبارية، والنشرات الورقيَّة التي تُباع بثمن بخس.

أصبح تطوير النشر النسائي (حيث تكتب النساء وتطبع وتتحكم في الإنتاج على جميع المستويات بما في ذلك التسويق) فضاءً لنشر الفكر النسوي. حينَ طُبعَ كتابي الأوَّل (ألست أنا امرأة: النساء السود والنسوية)، الذي كتبتهُ في السبعينيات، ونُشر في عام 1981، من قبلِ دارِ نشرٍ اشتراكية صغيرة (ساوث إند برس)، كان نصفُ المشرفينَ على الأقل من النساء النسويات، وكان جميع أعضائها مناهضين للتمييز بين الجنسين.

كان التَّأسيسُ لأَدبٍ نِسوِيّ مقترناً بالمطالبة باستعادة تاريخ المرأة، وكانَ ذلكَ أحد أقوى وأنجحً التدخلات للنسوية المعاصرة. في جميع مجالات الكتابة الأدبية والمنح الدراسية، لم تحظَ الأعمال التي ألَّفتها النساء تاريخياً باهتمام كبير، أو كانت منعدمة نتيجة للتمييز بين الجنسين. اللافت للنظر، عندما كشفت الحركة النسوية عن تحيزات في المناهج الدراسية، أنه تمت إعادة اكتشاف الكثير من هذا العمل المنسي الذي تعرَّضَ للتَّجاهل. وقد قدَّمَ إضفاءُ برامج دراسات المرأة في الكليات والجامعات شرعيَّةً مؤسساتيَّة للتركيز الأكاديمي على عمل المرأة. في أعقاب دراسات السود، أصبحت دراسات المرأة المكان الذي يمكن للمرء أن يطَّلعَ فيهِ على الجندر وعلى النساء بعيداً عن الانحياز. على عكس الصور النمطية الشائعة، لم يقم الأساتذة في فصول دراسات المرأة بالتَّغاضي عن أعمالِ الرِّجال؛ فنحن نتدخل في التفكير الجنسي من خلال إظهار أن عمل المرأة غالباً ما يكون جيداً ومثيراً للاهتمام، إن لم يكن أكثر من ذلك، مثل عمل الرجال. يتم نقد ما يسمى الأدب العظيم من قبل الرجال فقط لإظهار التحيزات الموجودة في تقييم القيمة الجمالية. لم أحضر البتَّةَ دورة دراسية نسائية ولم أسمع عن دورة عُدَّت فيها أعمال الرجال غير مهمة أو غير ذات صلة. تكشف الانتقادات النسوية لشرائع المنح الدراسية، أو العمل الأدبي الذكوري فقط، عن التحيزات القائمة على الجنس. والأهم من ذلك أن هذه الإشارات كانت مركزية لإفساح المجال لاستعادة عمل المرأة، ومكاناً معاصراً لإنتاج عمل جديد من قبل النساء وعنهن.

اكتسبت الحركة النسوية زخماً عندما وجدت طريقها إلى الوسطِ الأكاديمي. في الفصول الدراسية في جميع أنحاء البلاد، تمكنت عقول

الشباب من التعرف على التفكير النسوي، والاطِّلاع على النظرية، واستخدامها في كشوفاتهم الأكاديمية. عندما كنت طالبة دراسات عليا أستعد لكتابة أطروحة، سمح لي التفكير النسوي باختيار الكتابة عن كاتبة سوداء لم تكن تُقرأ على نطاق واسع في ذلك الوقت، وهيَ توني موريسون. تمَّ منحُ عددٍ قليل جداً من المنح الأدبية الجادَّة على أعمال الكاتبات السود قبل ظهورِ الحركة النسوية. عندما اكتسبت أليس ووكر الشهرة، ساهمت في نفخِ الغبارِ عن عمل الكاتبة زورا نيل هيرستون، التي أصبحت، بعد فترة وجيزة، أكثر كاتبة سوداء مُقدَّسة في الأدب الأمريكي. أحدثت الحركة النسوية ثورة عندما طالبت باحترام العمل الأكاديمي للمرأة، والاعتراف بهذا العمل في الماضي والحاضر، ووضع حد للتحيزات بين الجنسين في المناهج وطرائق التدريس.

ساعد إضفاء الطابع المؤسساتيّ على دراسات المرأة في انتشارِ الحركة النسوية. لقد عرضت موقَعاً شرعياً للانتقال النِّسوي من خلال توفير جسم مستدام من العقول المتفتحة. لقد كان الطلاب الذين حضروا فصول دراسات المرأة هناك للتعلم، فقد أرادوا معرفة المزيد عن التفكير النسوي. وفي تلك الطبقات استيقظ الكثير منَّا سياسياً. لقد اكتسبتُ تفكيري النِسوي من خلال تحدِّي هيمنة الذكور في منزلنا الأبوي. لكن مجرد كوننا ضحية لنظام استغلالي أو قمعي، وحتى مقاومته، لا يعني أننا نفهم سبب وجوده، أو كيفية تغييره. لقد اعتنقتُ السِّياسة النسوية قبل وقت طويل من التحاقي بالكلية، لكن الفصل الدراسي النسوي كان المكان الذي تعلمت فيه التفكير النسوي، والنظرية النسوية. وفي تلك المساحة، تلقيت التشجيع للتفكير النقدي والكتابة عن تجربة الأنثى السوداء.

طوال السبعينيات، كان التَّأسيسُ للتفكير النسوي والنظرية النِسويَّة عملاً تعاونياً؛ حيث كانت النساء دائماً في حوار حول الأفكار، واختبار تصوُّراتنا وإعادة تشكيلها. في الواقع، عندما أثارت النساء السود ونساء أخريات من ذوات البشرة الملوَّنة مسألة التحيز العنصري، بوصفهِ عاملاً في تشكيل الفكر النسوي، كانت هناك مقاومة أولية لفكرة أن الكثير مما حددته نساء الطبقة المتميزة على أنه حقيقي لتجربة الإناث قد يكون معيباً، ولكن أكثر من ذلك. ومعَ مرور الوقت، تغيَّرت النَّظرية النسوية. ورغمَ أن العديد من المفكرات البيض كن قادرات على الاعتراف بتحيزاتهن دون القيام بعمل إعادة التفكير، إلا أن هذا لا يزال تحوُّلاً مهماً. بحلول أواخر الثمانينيات، عكست معظم الدراسات النسوية وعياً بالاختلافات العرقية والطبقية. كانت العالمات، اللواتي كن ملتزمات حقاً بالحركة النسوية والتضامن النسوي، حريصات على إنتاج نظرية من شأنها أن تعالج واقع معظم النساء.

كانت الشرعية الأكاديمية حاسمة في تقدُّمِ الفكر النِسوي، إلَّا أنَّها خلقت مجموعة جديدة من الصعوبات. وفجأةَ، حظي التفكير النسوي، الذي نشأ مباشرة من النظرية والممارسة، باهتمام أقل من النظرية التي كانت ميتا-لغوية، وخلقت لغة اصطلاحيَّةً؛ وأنتجت كتاباتٍ موجَّهةً فقط إلى الجمهور الأكاديمي. بدا الأمر كما لو أن مجموعة كبيرة من المفكرات النسويَّات اجتمعنَ معاً لوضعِ مجموعةٍ نخبويَّة للتَّأسيسِ لنظريَّةٍ لا يمكن فهمها إلا من قبل الحشدَ المنغلقِ على ذاتهِ.

لم يعد يتم اعتبار النساء والرجال خارج المجال الأكاديمي جمهوراً مهماً. لم يعد التفكير والنظرية النسوية مرتبطين بالحركة النسوية. طغت السياسة الأكاديمية والنزعة المهنية على السياسة النسوية. بدأت

النظرية النسوية في الظهور في غيتو أكاديميّ قليل الارتباط بالعالم الخارجي. تم إنتاج العمل في الأكاديمية التِّي غالباً ما تكون ذات رؤية، ولكن نادراً ما تصل هذه الأفكار إلى كثير من الناس. نتيجة لذلك، إن إضفاء الطابع الأكاديمي على الفكر النسوي بهذه الطريقة يقوِّضُ الحركة النسوية من خلال نزع الطابع السياسي. لقد تم التخلص من التطرف، مثل أي تخصص أكاديمي آخر مع اختلاف وحيد هو التركيز على المسألةِ الجندريَّة. يجب كتابة الأدب الذي يساعد على إعلام الجماهير، والذي يساعد الأفراد على فهم التفكير النسوي والسياسة النسوية، في مجموعة من الأساليب والصيغ. نحن بحاجة إلى عمل موجه بشكل خاص نحو ثقافة الشباب. لا أحد ينتج هذا العمل في الأوساط الأكاديمية، دون التخلي عن برامج دراسات المرأة المعرضة بالفعل للخطر في الكليات والجامعات، حيث يسعى المحافظون إلى التراجع عن التغييرات التي أحدثتها النضالات من أجل العدالة بين الجنسين، فنحن بحاجة إلى دراسات نسوية قائمة على المجتمع. تخيل حركة نسوية جماهيرية؛ حيث يذهب الناس من باب إلى باب، ويمررون الرِّسالةَ النِّسويَّة، ويأخذون وقتهم (كما تفعل المجموعات الدينية) ليشرحوا للناس ما هي النسوية. عندما كانت الحركة النسوية المعاصرة في ذروتها، تم انتقاد التحيزات الجنسية في كتب الأطفال. تمت كتابة كتب «للأطفال بالمجان»، وبمجرد توقفنا عن توخي الحذر الشديد، بدأ التحيز الجنسي في الظهور مرة أخرى. يُعد أدب الأطفال أحد أهم المواقع للتربية النسويةٍ للوعي النقدي تحديداً؛ لأن المعتقدات والهويات لا تزال في طورِ التَّشكّل. وغالباً ما يظل التفكير الضيق الأفق حول الجنس هو القاعدة في الملعب. يجب أن يكون التعليم العام

للأطفال مكاناً تستمر فيه الناشطات النسويات في القيام بعمل إنشاء منهج دراسيٍّ غير متحيز.

يجب أن تفكر الحركة النسوية المستقبلية بالضرورة في التعليم النسوي باعتباره مهماً في حياة الجميع. على الرغم من المكاسب الاقتصادية، التي حققتها النسوية الفردانيَّة، ورغمَ النساء اللواتي جمعن الثروة أو قبلن مساهمة الذكور الأثرياء، الذين هم حلفاؤنا في النضال، لم نقم بتأسيسِ مدارس قائمة على المبادئ النسوية للفتيات والفتيان، وللنساء والرجال. من خلال الفشل في إنشاء حركة تعليمية جماهيرية لتعليم الجميع عن النسوية، نسمح لوسائل الإعلام الأبوية السائدة أن تظل المكان الأساسي؛ حيث يتعلم الناس عن النسوية، ومعظم ما يتعلمونه سلبي. يعني تعليم الفكر النسوي والنظرية للجميع أنه يتعين علينا تجاوز الكلمة الأكاديمية وحتى المكتوبة. تفتقر جماهير الناس إلى المهارات اللازمة لقراءة معظم الكتب النسوية. الكتب المسجلة على الأشرطة والأغاني والراديو والتلفزيون كلها طرق لمشاركة المعرفة النسوية. وبطبيعة الحال، نحن بحاجة إلى شبكة تلفزيونية نسوية، وهي ليست مثل شبكة النساء. سيساعدنا حشد الأموال لإنشاء شبكة تلفزيونية نسوية في نشر التفكير النسوي على مستوى العالم. إذا لم نتمكن من امتلاك شبكة، فلندفع مقابل الوقت على الشبكة الحالية. بعد سنوات من الامتلاك المسلَّطِ من قبل الرجال الذين لم يكونوا جميعاً مناهضين للتمييز الجنسي، أصبحت مجلة السيدة الآن مملوكة لنساء ملتزمات بشدة بالمبادئ النسوية. وهذه خطوة في الاتجاه الصحيح.

إذا لم نعمل على إنشاء حركة جماهيرية تقدم تعليماً نسوياً للجميع، إناثاً وذكوراً، فستتقوض دائماً النظرية والممارسة النسوية بسبب المعلومات السلبية المنتجة في معظم وسائل الإعلام السائدة. لا يستطيع مواطنو هذه الأمة معرفة المساهمات الإيجابية، التي قدمتها الحركة النسوية في حياتنا كلها، إذا لم نسلط الضوء على هذه المكاسب. غالباً ما يتم الاستيلاء على المساهمات النسوية البناءة لتحقيق رفاهية مجتمعنا وذلكَ باستغلالِ الثقافة السائدة التي تقدم بعد ذلك تمثيلات سلبية للنسوية. معظم الناس لا يفهمون الطرق، التي لا تعد ولا تحصى، التي غيرت بها النسوية حياتنا بشكل إيجابي. إن مشاركة الفكر والممارسة النسوية يدعمان الحركة النسوية فالمعرفة النسوية للجميع.

أجسادنا وذواتنا

الحقوق الإنجابيَّة

عندما بدأت الحركة النسوية المعاصرة، كانت القضايا، التي تم تناولها على أنها الأكثر صلة بالموضوع، هي تلك القضايا التي كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بتجارب النساء البيض المتعلِّمات تعليماً عالياً (كان معظمهن يتمتعن بامتيازات مادِّيَّةٍ)؛ فقد اتبعت الحركة النسوية في أعقاب الحقوق المدنية والتحرير الجنسي، بدت مناسبة في الوقت الذي ظهرت فيه القضايا المتعلقة بجسد الأنثى. على عكس الصورة التي قدمتها وسائل الإعلام للعالم، كانت حركة نسوية تبدأ بحرق النساء حمَّالات الصدر في مسابقة ملكة جمال أمريكا، ثم صور النساء اللائي يبحثن عن الإجهاض، وكانت المسألة الجنسانية هي إحدى القضايا الأولى، التي كانت بمنزلة حافز لتشكيل الحركة، فتمحورت القضية حولَ حقوق المرأة في اختيار متى ومع من ستمارس الجنس. كان الاستغلال الجنسي لأجساد النساء أمراً شائعاً في الحركات الراديكالية، التي تنادي بالعدالة الاجتماعية، سواء كانت اجتماعيَّةً أم حقوقاً مدنية... إلخ.

عندما كانت ما تُسمَّى الثورة الجنسية في ذروتها، كانت قضية الحب الحر (التي تعني عادة ممارسة الجنس بقدر ما تريد مع من تريد) قد جعلت الإناث وجهاً لوجه مع قضية الحمل المُكره (unwanted pregnancy). قبل أن يكون هناك إنصاف بين الجنسين حول قضية الحب الحر، كانت النساء بحاجة إلى الوصول إلى وسائل منع الحمل والإجهاض الآمنة والفعَّالة. ولئن كانَ بإمكانِ النِّساء البيض الفرديات اللاتي يتمتعن بامتياز طبقي، في كثير من الأحيان، الوصول إلى هاتين

الضمانتين، فإن معظم النساء الأخريات لم يكن لديهنَّ ذلكَ الامتياز، فغالباً ما كانت النساء الفرديّات، اللواتي يتمتعن بامتياز طبقي، يخجلن من الحمل غير المرغوب فيه للاستفادة من وصولهن المباشر إلى الرعاية الصحية المسؤولة. شهدت النساء في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، اللواتي طالبن بالإجهاض، مآسي الإجهاض غير القانوني، وبؤس الزيجات القسرية كنتيجة للحمل غير المرغوب فيه. كان الكثير منَّا أطفالاً من علاقاتٍ خارجَ الزَّواج، من نساء موهوبات ومبدعات تغيرت حياتهنّ بسببِ الحمل غير المخطط له وغير المرغوب فيه؛ شهدنا مرارة أولئكَ النِّساء وغضبهنَّ وخيبة أملهنَّ في هذه الحياة. وكنا واضحات في أنَّهُ لا يمكن أن يكون هناك تحرُّرٌ جنسي حقيقيٌّ للنساء والرجال من دون وسائل منع حمل أفضل وأكثر أماناً، ومن دون الحق في إجهاض آمن وقانوني.

بالعودةِ إلى الوراء، من الواضح أن تسليط الضوء على الإجهاض بدلاً من الحقوق الإنجابية ككل يعكس التحيزات الطبقية للنساء اللاتي كنَّ في طليعة الحركة. كانت قضية الإجهاض، ولا تزال، ذات صلة بجميع النساء. وفي المقابل، كانت هناك قضايا إنجابية أخرى حيوية بالقدر نفسه، وهي تحتاج إلى استرعاءِ الاهتمام، وربما عملت على تحفيز الجماهير. تراوحت هذه القضايا بين التثقيف الجنسي الأساسي، والرعاية قبل الولادة، والرعاية الصحية الوقائية، التي من شأنها أن تساعد الإناث على فهم كيفية عمل أجسادهن، والتعقيم القسري، والعمليَّات القيصريَّةِ غير الضرورية و/أو استئصال الرحم، والمضاعفات الصِّحيَّةِ التي تركنها في أعقابهنَّ. من بين كل هذه القضايا، تعرفت النساء البيض ذوات الامتياز الطبقي، بشكل وثيق، على آلام الحمل غير المرغوب

فيه، وسلطنَ الضوء على قضية الإجهاض. لم يكنً بأي حال المجموعة الوحيدة التي تحتاج إلى الوصول إلى عمليات إجهاض آمنة وقانونية. كما ذكرنا سابقاً، كان من المرجح أن يكون لديهن وسائل للقيامِ بعمليَّاتِ إجهاض أكثر من النساء الفقيرات ونساء الطبقة العاملة. في تلك الأيام، سعت النساء الفقيرات، بمن في ذلك النساء السود، إلى الإجهاض غير القانوني. لم يكن الحق في الإجهاض مسألة تقتصر على النساء البيض فقط؛ ببساطة، لم تكن هي الشاغل الإنجابي الوحيد أو حتى الأهم بالنسبة إلى جماهير النساء الأمريكيات.

لقد مهد تطوير حبوب منع الحمل الفعالة - وإن لم تكن آمنة تماماً (التي ابتكرها علماء ذكور، ومعظمهم لم يكن ضد التحيز الجنسي)- الطريق حقاً للتحرر الجنسي للإناث أكثر من حقوق الإجهاض. النساء مثلي، اللاتي كنّ في أواخر سنِّ المراهقة عندما كانت حبوب منع الحمل متوافرة لأول مرة على نطاق واسع، نجحن في التَّخلُّصِ من شبحِ الخوف والعار من حالات الحمل غير المرغوب فيه. لقد حررت وسائل تحديد النسل المسؤولة العديد من النساء مثلي من اللاتي كنّ مؤيدات للاختيار، ولكن ليس بالضرورة مؤيدات للإجهاض، من الاضطرار إلى مواجهة هذه المشكلة شخصياً. بينما لم يكن لدي حمل غير مرغوب فيه في ذروة التحرر الجنسي، رأى العديد من أقراني أن الإجهاض أفضل من الاستخدام الواعي واليقظ لحبوب منع الحمل. وكثيراً ما استخدمنَ الإجهاض وسيلةً لتحديد النسل. كان استخدام حبوب منع الحمل يعني أن المرأة كانت تواجه اختيار ممارسةِ نشاطٍ جنسيّ بشكل مباشر. غالباً ما كان الرجال ينظرون إلى النساء الأكثر وعياً بشأن تحديد النسل على أنهن فضفاضات جنسياً. كان من السهل على بعض الإناث ترك الأمور

تحدث عن طريق الاتصال الجنسي، ثم الاهتمام «بالمشكلة» في ما بعد بالإجهاض. نحن نعلم الآن أن الإجهاض المتكرر أو الاستخدام المطول لحبوب منع الحمل، التي تحتوي على مستويات عالية من الإستروجين، ليسا خاليين من المخاطر. ورغم ذلك، كانت النساء على استعداد لتحمل المخاطر للحصول على الحرية الجنسية في أن يكون لهن الحق في الاختيار.

استحوذت قضية الإجهاض على اهتمام وسائل الإعلام؛ لأنها تحدت الفكر المسيحي الأصولي. وقد طُعِن بشكل مباشر في الفكرة القائلة إن سبب وجود المرأة هو الإنجاب. لفتت انتباه الأمة إلى الجسد الأنثوي كما لم يكن من الممكن أن تفعل أيّ قضية أخرى. لقد كان تحدياً مباشراً للكنيسة. لاحقاً، غالباً ما تم تجاهل جميع القضايا الإنجابية الأخرى، التي لفتت المفكّرات النسويات الانتباه إليها من قبل وسائل الإعلام. لم تكن المشكلات الطبية طويلة المدى الناتجة عن العمليات القيصرية واستئصال الرحم من الموضوعات المثيرة للجدل لوسائل الإعلام؛ لقد لفتت الانتباه في الواقع إلى نظام طبي أبوي رأسمالي يهيمن عليه الذكور، ويتحكم في أجساد النساء، ويفعل بهنّ أي شيء يريد القيام به. كانَ من شأنِ التركيز على الظلم الجندري في هذه الساحات أن يكون راديكالياً للغاية بالنسبة إلى وسائل الإعلام، التي تظل محافظة بشدة ومعادية للنسوية في مجملها.

لم يتخيل أي ناشط نسوي، في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، أنه سيتعين علينا خوض معركة من أجل الحقوق الإنجابية للمرأة في التسعينيات. بمجرد أن خلقت الحركة النسوية الثورة الثقافية، التي جعلت استخدام موانع الحمل الخالية من المخاطر نسبياً مقبولاً، والحق

في الحصول على إجهاض آمن وقانوني، افترضت النساء ببساطة أن هذه الحقوق لم تعد موضع تساؤل. أدَّى زوال حركة سياسية جماهيرية منظمة وراديكالية إلى جانب رد فعل عنيف مناهض للنسوية من جبهة سياسية يمينية منظمة تعتمد على التفسيرات الأصولية للدين إلى إعادة الإجهاض إلى جدول الأعمال السياسيَّةِ. حق الإناث في الاختيار أصبح الآن موضع تساؤل.

للأسف، استهدفت المنصة المناهضة للإجهاض عمليات الإجهاض الممولة من الدولة بشكل شرس، وغير المكلفة، وعند الضرورة، عمليات الإجهاض المجانية. نتيجة لذلك، تستمر النساء من جميع الأعراق، اللاتي يتمتعن بامتياز طبقي، في الحصول على عمليات إجهاض آمنة -ما زلن يتمتعن بالحق في الاختيار- بينما تعاني النساء المحرومات مادياً. تفقد أعداد كبيرة من النساء الفقيرات ونساء الطبقة العاملة إمكانية الإجهاض، عندما لا يتوافر تمويل حكومي لرعاية الصحة الإنجابية. لا تشعر النساء الحاصلات على امتياز طبقي بالتهديد عندما يمكن إجراء عمليات الإجهاض فقط إذا كان لدى المرء الكثير من المال؛ لأنه لا يزال بإمكانهن الحصول عليه. لكن جماهير النساء ليس لديهن قوة طبقية. إن عدد النساء، اللاتي يدخلن في صفوف الفقراء والمعوزين، أكثر من أي وقت مضى. من دون الحق في عمليات إجهاض آمنة وغير مكلفة ومجانية، هنَّ يفقدنَ السيطرة على أجسادهنَّ. إذا عدنا إلى عالم؛ حيث لا يمكن الوصول إلى عمليات الإجهاض إلا للنساء اللاتي لديهن الكثير من المال، فإننا نخاطر بعودة السياسة العامة التي تهدف إلى جعل الإجهاض غير قانوني. يحدث ذلكَ بالفعل في العديد من الدول المحافظة. ولذا، يجب على النساء من جميع الفئات الاستمرار في جعل عمليات الإجهاض آمنة وقانونية وبأسعار معقولة.

حق المرأة في اختيار الإجهاض من عدمه هو مجرد جانب واحد من جوانب الحرية الإنجابية. اعتماداً على عمر المرأة وظروف حياتها، سيتغير جانب الحقوق الإنجابية الأكثر أهمية. قد تواجه المرأة النشطة جنسياً في العشرينيات أو الثلاثينيات من عمرها، والتي تجد حبوب منع الحمل غير آمنة يوماً ما، حملاً غير مرغوب فيه، وقد يكون الحق في الحصول على إجهاض قانوني وآمن وغير مكلف هو القضية الإنجابية الأكثر صلة. ولكن عندما تكون في سن اليأس، يحثها الأطباء على إجراء عملية استئصال الرحم، التي قد تكون أكثر قضايا حقوق الإنجاب أهمية.

ونحنُ نسعى إلى إشعال نيران الحركة النسوية الجماهيرية، ستبقى الحقوق الإنجابية نقطةً مركزيَّة في جدولِ الأعمالِ النِّسائيَّةِ. إذا لم يكن للمرأة الحق في اختيار ما يحدث لجسدها، فإننا نجازف بالتنازل عن الحقوق في جميع المجالات الأخرى من حياتنا. في الحركة النسوية المتجددة، سيكون للقضية الشاملة للحقوق الإنجابية الأسبقية على أي قضية أخرى. هذا لا يعني أن الضغط من أجل الإجهاض القانوني والآمن وغير المكلف لن يظل محورياً، فهو ببساطة لن يكون القضية الوحيدة المركزية. إذا تم توفير التثقيف الجنسي، والرعاية الصحية الوقائية، وسهولة الوصول إلى موانع الحمل لكل أنثى، فسيقلُّ عدد حالات الحمل غير المرغوب فيه، ونتيجة لذلك ستقل الحاجة إلى الإجهاض.

إن فقدان الأرضية في ما يتعلق بمسألة الإجهاض القانوني والآمن وغير المكلف يعني أن المرأة تفقد مكانتها في جميع القضايا الإنجابية. الحركة المناهضة للاختيار هي في الأساس مناهضة للنسوية. في حين أنَّ من الممكن للمرأة أن تختار بشكل فردي عدم إجراء عملية

إجهاض، إن الولاء للسياسة النسوية يعني أنها لا تزال مؤيدة للاختيار، وأنها تدعم حق الإناث اللاتي يحتجن إلى الإجهاض في اختيار ما إذا كان يجب إجراؤهُ أو لا. الشابات اللواتي كان لديهن دائماً إمكانية الوصول إلى وسائل منع الحمل الفعالة -اللواتي لم يشاهدن أبداً المآسي التي يسببها الإجهاض غير القانوني- ليس لديهن خبرة مباشرة بالعجز والضعف أمام الاستغلال، الذي سيكون دائماً النتيجة إذا لم يكن للإناث حقوق إنجابيَّة. هناك حاجة إلى مناقشة مستمرة حول مجموعة واسعة من القضايا التي تندرج تحت عنوان الحقوق الإنجابية إذا كان على الإناث من جميع الأعمار-رفقة وحلفائنا الذكور في النضال- فهم سبب أهمية هذه الحقوق. هذا الفهم هو أساس التزامنا بالحفاظ على حقوق الإنجاب حقيقةً واقعةً لجميع الإناث. التركيز النسوي على الحقوق الإنجابية ضروري لحماية حريتنا والحفاظ عليها.

جمالٌ داخليٌّ وجمالٌ مجرَّد

كان تحدي التفكير الجنسي حول جسد الأنثى أحد أقوى التدخلات التي قامت بها الحركة النسوية المعاصرة. قبل تحرير المرأة، كانت جميع الإناث، صغاراً وكباراً، قد نشأن من النَّاحية الاجتماعية على التفكير الجنسي، الذي يعتقدُ بأنَّ قيمتنا تعتمد فقط على المظهر وأحكام الآخرينَ على مظهرنا، ولاسيما الرجال. كان الفهم السَّائدُ، أنَّ الإناث لا يمكنهنَّ أن يتحررنَ أبداً إذا لم يطوِّرنَ احترامهنَّ لذواتهنَّ، وذهبَت المفكِّرات النِّسويَّات مباشرة إلى قلب الموضوع، لدراستنا بشكل نقدي كيف نشعر ونفكر في أجسادنا، ونقدم استراتيجيات بناءة للتغيير. بالنظر إلى الوراء، بعد سنوات من الشعور بالراحة في اختيار ارتداء حمالة الصدر أو لا، يمكنني أن أتذكر القرار المهم الذي اتُّخذَ قبل ثلاثينَ عاماً. تجريد النساء أجسادهن من الملابس المقيدة وغير الصحية وغير المريحة، وحمالات الصدر، والمشدات، والكورسيهات، وما إلى ذلك. كان ذلكَ بمنزلة استعادة جذرية لصحة الجسد الأنثوي ومجدهِ. يمكن للإناث اليوم، اللواتي لم يعرفن مثل هذه القيود، أن يثقن بنا عندما نقول إن هذا الحق قد كان بالغ الأهمية.

على مستوى أعمق، أثبتت هذه الطقوس صحة ارتداء النساء ملابس مريحة على جميع المستويات في حياتنا. كان مجرد التمكن من ارتداء السراويل في العمل أمراً رائعاً للعديد من النساء، اللواتي تطلبت وظائفهن منهن الانحناء والانحناء باستمرار. بالنسبة إلى النساء اللواتي لم يشعرن بالراحة في ارتداء الفساتين والتنانير، كانت كل هذه

التغييرات مثيرة. اليوم يمكن أن تبدو تافهة للإناث اللاتي استطعن اختيار ما يردنَ ارتداءه بحرية منذ الطفولة. توقف العديد من النساء الراشدات اللاتي يعتنقن النسوية عن ارتداء أحذية الكعب العالي المعيقة وغير المريحة. قادت هذه التغييرات صناعة الأحذية إلى تصميم أحذية منخفضة ومريحة للنساء. لم تعد النساء مجبرات على وضعِ المكياج بسبب التقاليد الجنسية، فقد نظرت النساء في المرآة، وتعلمن مواجهة أنفسهن كما هنّ.

الملابس والثورة التي خلقتها التدخلات النسوية تجعل النساء يعرفن أن جسدنا كان يستحق الحب والعشق في حالته الطبيعية؛ لا شيء يضاف إلا إذا اختارت المرأة المزيد من الزينة. في البداية، كان المستثمرون الرأسماليون في صناعة مستحضرات التجميل والأزياء يخشون أن تدمر النسوية أعمالهم. لقد وضعوا أموالهم وراء حملات وسائل الإعلام الجماهيرية، التي قللت من أهمية تحرير المرأة من خلال تصوير الصور، التي تشير إلى أن النسويات كن كبيرات، وذوات طابع ذكوري مفرط وقبيح للغاية. في الواقع، أتت النساء المشاركات في الحركة النسوية بجميعِ الأشكال والأحجام. كنا متنوعات تماماً. وكم هو مثير أن تكون حراً في تقدير اختلافاتنا من دون حكم أو منافسة.

كانت هناك فترة في الأيام الأولى للنسوية، عندما تخلى العديد من النشطاء عن كل اهتمام بالموضة والمظهر. غالباً ما ينتقد هؤلاء الأفراد بشدة أي امرأة أبدت اهتماماً بالزي أو المكياج الأنثوي. كنا في معظمنا متحمسات للحصول على خيارات. وبالنظر إلى الاختيار، عادة ما نتَّخذَ القرار بناءً على الراحة والسهولة. لم يكن البتَّةَ أمراً بسيطاً، بالنسبة إلى المرأة، توحيد حب الجمال والأناقة بالراحة والسهولة. كان على النساء

أن يطالبن قطاعَ الموضة (التي كان يهيمن عليها الذكور تماماً في تلك الأيام) بإنشاء أنماط متنوعة من الملابس.

تغيرت المجلات (دعت الناشطات النسويات إلى استقطابِ مزيد من الكاتبات وكتابةِ المزيد من المقالات حول موضوعات جادة). لأول مرة في تاريخ أمتنا، اضطرت النساء إلى الاعتراف بقوَّةِ الجانبِ المادّي، واستخدام ما فيهِ من قُوَّةٍ لإحداث تغيير إيجابي.

لقد فتحَ الصِّراعُ معَ صناعة الموضة المتحيِّزةِ جنسياً المجالَ للمرأةِ لدراسةِ المفاهيم المرضيَّةِ والمهدّدة في حياتنا لأوَّلِ مرَّةٍ. تم تسليط الضوء على الأكل القهري والجوع القهري. ولئن ابتكروا «مظاهر» مختلفة، فقد كان هذا الإدمان الذي يهدد الحياة مستمداً من نفس الجذور. أجبرت الحركة النسوية المؤسسة الطبية المتحيزة جنسياً على الاهتمام بهذه القضايا. في البداية تجاهلت هذه المؤسسة النقد النسوي، ولكن عندما بدأت النسويات في إنشاء مراكز صحية، ما يوفر مساحة للرعاية الصحية الإيجابية التي تركز على الإناث، أدركت الصناعة الطبية، كما هو الحال مع الموضة، أن جماهير النساء ستأخذ دولاراتها الاستهلاكية، وتتحرك في اتجاه مرافق الرعاية الصحية التي توفِّرُ قدراً أكبر من الرعاية والمرونةِ والاحترام لجسد المرأة. كل التغييرات الإيجابية في مواقف المؤسسة الطبية تجاه جسد الأنثى، وتجاه الرعاية الصحية للمرأة، هي نتيجة مباشرة للنضال النسوي. عندما يتعلق الأمر بمسألة الرعاية الصحِّية، وأخذ أجسادنا على محمل الجد، تستمر النساء في تحدي الصناعة الطبية، ومواجهة هذه الصناعة. هذه واحدة من الأماكن القليلة التي يكتسب فيها النضال النسوي الدعم الجماهيري من النساء، سواء كنّ ملتزمات بالسياسة النسوية أم لا. نحن نرى القوة

الجماعية للمرأة عندما يتعلق الأمر بأمور أمراض النساء، بتلك الأشكال من السرطان (سرطان الثدي خاصةً) التي تهدد الإناث أكثر من الذكور، ومؤخراً في مجال أمراض القلب.

كان النضال النسوي لإنهاء اضطرابات الأكل معركة مستمرة؛ لأن هوس أمتنا بالحكم على الإناث من جميع الأعمار على أساس مظهرنا لم يتم القضاء عليه تماماً، بل ما زال يسيطر على خيالنا الثقافي. بحلول أوائل الثمانينيات، كان العديد من النساء يبتعد عن النسوية. ولئن جنت جميع الإناث فوائد التدخلات النسوية، كان المزيد والمزيد من الإناث يتبنين مفاهيم جديدة للجمال محددة على أساس الجنس. كانت النساء الفرديات، اللائي كن في أوائل العشرينيات من العمر عندما بدأت الحركة النسوية المعاصرة، ينتقلن إلى أواخر الأربعينيات والخمسينيات من العمر. على الرغم من أن التغييرات النسوية في الطريقة التي نرى بها أجساد النساء جعلت الشيخوخة تجربة أكثر إيجابية للمرأة، إلا أن مواجهة حقيقة الشيخوخة في المجتمع الأبوي، ولاسيما حقيقة عدم القدرة على الإنجاب بيولوجياً، أدت بالعديد من النساء إلى تبني مفهوم جديد للشيخوخة؛ المفاهيم الجنسية القديمة للجمال الأنثوي. في الوقت الحاضر، أكثر من أي وقت مضى في تاريخ أمتنا، كان عدد كبير من النساء من جنسين مختلفين فوق الأربعين وما زلن عازبات. عندما يجدن أنفسهن في منافسة مع النساء الأصغر سناً (وكثير منهنّ لسنَ نسويات ولن يكنّ أبداً) لجذب انتباه الذكور، فإنهن غالباً ما يحاكين التمثيلات الجنسية لجمال الأنثى. بشكل مأساوي، على الرغم من أن الإناث أكثر وعياً من أي وقت مضى بالمشكلة الواسعة الانتشار لاضطرابات الأكل، التي تهدد الحياة في تاريخ أمتنا، إلا أن مجموعة

كبيرة من الإناث من الصغيرات إلى المسنات ما زلن يتضورن جوعاً حتى يصبحنَ نحيفات. أصبح مرض فقدان الشهية موضوعاً مألوفاً وموضوعاً في الكتب والأفلام وما إلى ذلك. ولكن لا توجد تحذيرات رهيبة لردع الإناث اللواتي يعتقدن أن جمالهن وقيمتهن الجوهرية سيتم تحديدهما من خلال ما إذا كانت نحيفة أو لا. قد تحمل مجلات الموضة اليوم مقالاً عن مخاطر فقدان الشهية بينما تقصف قراءها بصور أجساد شابة هزيلة تمثل ذروة الجمال والجاذبية. الرسالة المربكة هي الأكثر ضرراً لأولئك النساء اللواتي لم يسبق لهنّ أن طرحنَ سياسةً نسوية معيَّنةً. ورغم ذلك، هناك تدخلات نسوية حديثة تهدف إلى تجديد جهودنا لتأكيد الجمال الطبيعي لأجساد النساء.

الفتيات اليوم غالباً ما يكرهن أنفسهن عندما يتعلق الأمر بأجسادهن مثل نظيراتهن من الفتيات قبل أن يكنَّ نِسويّات. بينما أنتجت الحركة النسوية أنواعاً عديدة من المجلات المؤيدة للمرأة، لم تظهر أيّ مجلة أزياء ذات توجه نسوي تقدم لجميع الإناث رؤى بديلة للجمال. إن انتقاد الصور الجنسية من دون تقديم بدائل هو تدخّل غير كامل. النقد في حد ذاته لا يؤدي إلى التغيير. في الواقع، تركَ جزءٌ كبيرٌ من النقدِ النسوي للجمالِ الإناثَ في حيرة من أمرهنّ حول ماهية الخيار الصحي. بصفتي امرأة في منتصف العمر، اكتسبت وزناً أكبر من أي وقت مضى في حياتي، أريد أن أعمل على التخلص من أرطال الوزن من دون نشر الكراهية الذاتية للجسد ذات الطابع الجنساني للقيام بذلك. في الوقت الحاضر، في عالم الموضة، ولا سيما الجانب الاستهلاكي؛ حيث الملابس التي تبدو وكأنها مصممة ببساطة لأجسام المراهقات الرقيقة من القصب هي القاعدة، جميع الإناث، بغض النظر عن سنهن، يتم تكوينهن اجتماعياً إما بوعي وإما بغير وعي ليشعرن بالقلق حول أجسادهنّ،

ورؤية الجسد على أنه مشكلة. ولئن كنّا محظوظات؛ لأنَّ بعض المتاجر تقدم ملابس جميلة للنساء من جميع الأحجام والأشكال، فغالباً ما تكون هذه الملابس أغلى بكثير من الملابس الأرخص التي تسوقها صناعة الأزياء لعامة الناس. تبدو مجلات الموضة اليوم، بشكل متزايد، مثل مجلات الماضي. المزيد والمزيد من السطور المكتوبةِ من قبل الذكور. نادراً ما تحتوي المقالات على منظور نسوي أو محتوى نسوي. وتميل الموضات التي يتم تصويرها إلى عكس حساسيَّة التَّحيّز الجنسي.

لم يتم الاعتراف بهذه التغييرات علناً؛ لأن العديد من النساء النسويات، اللاتي وصلن إلى مرحلة البلوغ، يمارسن حريتهن في الاختيار، ويبحثن عن نماذج بديلة صحية للجمال. ورغم ذلك، إذا تخلينا عن النضال من أجل القضاء على المفاهيم المحددة للجنس عن الجمال تماماً، فإننا نخاطر بتقويض جميع التدخلات النسوية الرائعة، التي سمحت لنا باحتضان أجسادنا وأنفسنا وحبِّها. على الرغم من أن جميع الإناث أكثر وعياً بمخاطر تبني المفاهيم الجنسية لجمال الأنثى، لا نفعل ما يكفي للقضاء على هذه المخاطر ولخلق بدائل.

لن تعرف الفتيات والمراهقات أن المفكرين النسويين يعترفون بقيمة الجمال والزينة إذا واصلنا السماح للحساسيات الأبوية بالتَّحكم في صناعة التجميل في جميع المجالات. إن رفض النسوية الصارم لتوق النساء إلى الجمال قد قوض السياسة النسوية. في حين أن هذا الإحساس غير شائع، إلا أنه غالباً ما يتم تقديمه من قبل وسائل الإعلام بالطريقة التي يفكر بها النسويون. حتى تعود النسويات إلى صناعة التجميل، وتعود إلى الموضة، وتخلق ثورة مستمرة ومستديمة، لن نكون متحرِّرات. لن نعرف كيف نحب أجسادنا كما نحن.

الصِّراع الطَّبقي النِّسوي

تناولت المرأة مسألةَ الاختلافِ الطبقي والطريقة التي يُقسِّم بها النِّساءَ في الحركة النسوية قبل فترة طويلة من التطرّقُ إلى قضيَّةِ العرق. في الدوائر ذات الأغلبية البيضاء لحركة تحرير نسائية حديثة التكوين، كان الفصل الأكثر وضوحاً بين النساء هو الفصل الطبقي. أدركت نساء الطبقة العاملة البيضاء حضورَ التَّراتبيَّات الطبقية في الحركة، فنشأ الصراع بين الرؤية الإصلاحية لتحرير المرأة، التي طالبت بشكل أساسي بحقوق متساوية للمرأة داخل الهيكل الطبقي الحالي، والنماذج الأكثر راديكالية و/أو ثورية، التي دعت إلى تغيير جذري في الهيكل الحالي؛ حيث يمكن لنماذج التبادلية والمساواة أن تحل محل النماذج القديمة. ورغم ذلك، مع تقدم الحركة النسوية، ومعَ شروعِ المجموعات المتميزة من النساء البيض المتعلمات جيداً في تحقيق المَساواة في الوصول إلى الطَّبقة المهيمنةِ مع نظرائهن الذكور، لم يعد الصراع الطبقي النسوي مهمًّا.

منذ ظهورِ الحركة، تمكنت النساء من الطبقات المتميزة من طرح مخاوفهن على «القضايا» التي يجب التركيز عليها جزئياً؛ لأنهن كن مجموعة من النساء اللواتي حظين باهتمام الرأي العام، ومن اللاتي يجذبن اهتمامَ وسائل الإعلام. لم يتم إبراز القضايا الأكثر صلة بالنساء العاملات أو بجماهير النساء من قبل وسائل الإعلام الجماهيرية. حددت بيتي فريدان في كتابها (اللُّغز الأنثوي) المشكلة التي بلا مسمًّى على أنها عدم الرضا الذي شعرت به الإناث بوصفهنَّ تابعات وربَّات بيوت محتجزات في المنزل. ولئن تمَّ تقديمُ هذه القضية على أنها

أزمة للنساء، فإنها كانت في الحقيقة مجرد أزمة لمجموعة صغيرة من النساء البيض المتعلمات جيّداً. بينما كنَّ يشتكين من مخاطر الحبس في المنزل، كانت الأغلبية العظمى من النساء ينتمينَ إلى القوى العاملة. وكثير من هؤلاء النساء العاملات، اللائي يعملن لساعات طويلة مقابل أجر منخفض، ويقمن بكل الأعمال المنزليَّة في الوقت نفسه، قد يعتبرن الحق في البقاء في المنزل «حرية».

لم يكن التميز بين الجنسين أو الاضطهاد الجنسي هو السبب في حرمان النساء المتميزات من جميع الأعراق من العمل خارج المنزل، بل كانت حقيقة أن الوظائف، التي كانت ستتاح لهن، ستكون نفسها وظائف منخفضة الأجر ومُتَاحَةً لجميع النساء العاملات. ولهذا كانَ من الأفضلِ لنخبةِ النِّساء المتعلِّمات البقاء في المنزلِ بدلاً من القيامِ بأعمالِ الطَّبقة السُّفلى أو الطَّبقة العاملة. من حين إلى آخر، تحدتَ قلة من هؤلاء النساء التقليد، وعملن خارج المنزل لأداء مهمات أقل بكثير من مهاراتهن التعليمية، وليواجهنَ رفضَ الزَّوج والأسرة. لقد حوَّل ذلكَ الرَّفضُ قضية عملهن خارج المنزل إلى قضية تمييز بين الجنسين، وجعلت معارضة النظام الأبوي والسعي إلى تحقيق المساواة مع الرِّجالِ من طبقتهم، البرنامجَ السِّياسي الذي اختارتهُ الحركة النسويَّة، والذي حلَّ محلَّ الصراع الطبقي.

منذ البداية، كانت النساء البيض الإصلاحيات، اللاتي يتمتعن بامتياز طبقي، على دراية تامة بأن القوة والحرية التي يردنها هي الحرية التي يرين أنَّ الرجال الذين ينتمونَ إلى طبقتهنَّ يتمتعون بها. لقد وفَّرت مقاومتهنَّ للسيطرة الأبوية الذكورية داخل المنزلِ صلة ترابطٍ يمكنهنَّ استخدامها للتَّوحُّدِ في طَبَقةٍ مع نساء أخريات سئمن هيمنة الذكور. لكن

النساء المتميزات فقط لديهن رفاهية تخيل أن العمل خارج المنزل سيوفر لهن دخلاً يمكّنهن من تحقيق الاكتفاء الذاتي اقتصادياً. عرفت نساء الطبقة العاملة بالفعل أن الأجور التي يتلقينها لن تحررهن.

كان للجهود الإصلاحية من جانب المجموعات ذات الامتيازات من النساء لتغيير وضعية القوة العاملة؛ حيث تحصل العاملات على أجر أكبر، ويواجهن قدراً أقل من التمييز القائم على النوع الاجتماعي، ومواجهة التحرش؛ كانَ لهذه الإصلاحات في العمل تأثير إيجابي في حياة جميع النساء؛ إذ عُدَّت مكاسبَ مهمَّة. ورغم ذلك، كان الامتياز الذي تم اكتسابه في السلطة الطبقية في وقتٍ لا تزال فيه جماهير النساء لا يحصلن على المساواة في الأجر مع الرجال، هو مؤشر على الطريقة التي طغت بها المصالح الطبقية على الجهود النسوية بهدفِ تغيير القوة العاملة؛ حيث تحصل النساء على أجر متساوٍ مقابل عملٍ إطارِ المساواة.

كانت المفكرات النسويات المثليات من أوائل النَّاشطاتِ اللَّاتي أثرنَ قضية الطبقة في الحركة النسوية للتعبير عن وجهات نظرهنَّ بلغة يسهل استيعابها. لقد كُنَّ مجموعة من النساء اللواتي لم يتخيلن أنهن يمكنهن الاعتماد على الأزواج لدعمهن. وكنَّ في الغالب أكثر وعياً من نظيراتهنَّ السويَّات بالصعوبات التي قد تواجهها جميع النساء في القوى العاملة. نشرت في أوائل السبعينيات من القرن الماضي **(سلسلة الطَّبقة والنِسويَّة)** وقد تمَّ تحريرها بوساطة شارلوت بانش ونانسي مايرون، وضمَّت أعمالاً كتبتها نساء من خلفيات طبقية متنوعة كنَّ يواجهن هذه القضية في الدوائر النسوية. أكد كل مقال على حقيقة أن الفصل لم يكن مجرد مسألة متعلِّقة بالمال. ذكرت ريتا ماي براون (التي لم تكن كاتبة مشهورة في ذلك الوقت) في «القشَّةِ الأخيرة»:

تتجاوزُ الطّبقةُ تعريفَ ماركس، الذي يختصرها في العلاقة بوسائل الإنتاج. الطَّبقةُ تشملُ سلوككَ وافتراضاتكَ الأساسيَّة، وكيفَ تتعلَّم، وكيفَ تتصرَّف، وما الذي تنتظرهُ من نفسكَ ومن الآخرين، كما أنَّها ترتبطُ بمفهومكَ للمستقبل، وكيفيَّة استيعابكَ للمشاكلِ، وكيفيَّة حلِّها، إضافةً إلى مشاعركَ وطريقةِ تفكيركَ وتصرُّفكَ.

كانَ هؤلاء النِّساء، اللَّاتي انضممن إلى مجموعاتٍ مكوَّنةٍ من طبقاتٍ مختلفةٍ، من أوائل اللاتي رأينَ أنَّ الأختيَّة السِّياسيَّة تستدعي وحدةَ كلِّ النِّساء من أجلِ مقاومةِ السُّلطةِ الأبويَّة، ولن يتحقَّقَ ذلكَ إلَّا بالتَّصدّي لقضيَّة الطَّبقة.

فتحَ وضعُ الطَّبقةِ ضمنَ الأجنداتِ النّسويَّةِ المجالَ للتطرُّقِ إلى التَّقاطعاتِ الجليَّةِ بينَ مسألتي العرقِ والطَّبقةِ. معَ العرقِ المؤسَّساتي والجنس والنَّظام الاجتماعي للطبقةِ في مجتمعنا، كان جلياً أنَّ النِّساء ذوات البشرة السَّوداء في أسفلِ عمودِ الطَّوطم الاقتصادي. في البداية، كانت النساء البيض المتعلمات جيداً، اللاَتي ينحدرنَ من خلفيات عمَّاليَّةٍ، أكثر وضوحاً من الإناث السود اللاتي يرتبطنَ بكلِّ الطبقات في الحركة النسوية. كنَّ أقلية داخل الحركة، لكن صوتهنَّ كان نابعاً من تجربة.

نظراً إلى اكتسابِ النِّساء المتميزات قدرة أكبر على الوصول إلى القوة الاقتصادية مع الرجال، لم تعد المناقشات النسوية الطبقية شائعة. وبدلاً من ذلك، تم تشجيع جميع النساء على رؤية المكاسب الاقتصادية للإناث الميسرات علامة إيجابية لجميع النساء. في الواقع، نادراً ما غيرت هذه المكاسب الكثير من وضعيّةِ النِّساء الفقيرات ونساء

الطبقة العاملة. ولما كان الرجال المتميزون لم يصبحوا رعاةً على قدم المساواة في الأسرة المنزلية، فقد تطلبت حرية نساء الطبقة المتميزة من جميع الأجناس التبعية المستمرة للطبقة العاملة والنساء الفقيرات. في التسعينيات كان التواطؤ مع الهيكل الاجتماعي القائم هو ثمن «تحرير المرأة». في نهاية المطاف، أثبتت قوة الطبقة أنها أكثر أهمية من النسوية. وقد ساعد هذا التواطؤ في زعزعة استقرار الحركة النسوية.

عندما اكتسبت المرأة مكانة طبقية أكبر وسلطة دون أن تتصرف بشكل مختلف عن الذكور، تمّ تقويض السياسات النسوية. شعرت الكثير من النساء بالخيانة. لم تشعر النساء من الطبقة المتوسطة والدنيا، اللاتي أجبرن فجأة بأخلاقيات النسوية على دخول سوق العمل، بعقليَّةٍ تحرُّريَّةٍ بمجرد مواجهة الحقيقة الصعبة المتمثلة في أن العمل خارج المنزل لا يعني أن العمل في المنزل سيتم تقاسمه بالتساوي مع الشركاء الذكور. أثبت الطلاق دون خطأ (No-fault divorce) أنه أكثر فائدة من الناحية الاقتصادية للرجال من النساء. نظراً إلى أن العديد من النساء ذوات البشرة السمراء قد رأين النساء البيض من الطبقات المتميزة يستفدنَ اقتصادياً أكثر من المجموعات الأخرى من النِسويَّاتِ الإصلاحيَّات، من معالجة الجندر إلى العمل الإيجابي العنصري، فقد أعدنَ ببساطة تأكيد خوفهنَّ من أن النسوية كانت في الحقيقة تتعلق بزيادة قوة النِساء البيض. كانت الخيانة الأكثر عمقاً للقضايا النسوية هي عدم وجود احتجاج نسوي جماهيري يتحدى اعتداء الحكومة على الأمهات العازبات وتفكيك نظام الرعاية الاجتماعية. ابتعدت النساء المتميزات، وكثير منهن يطلقن على أنفسهن نسويات، عن معالجةِ قضيَّةِ **«تأنيث الفقر»** (feminization of poverty).

تميل أصوات «القوَّة النِسويَّة» إلى البروزِ في وسائل الإعلام أكثر بكثير من أصوات النساء النسويات، اللواتي اكتسبن قوة طبقية دون خيانة تضامننا تجاه تلك المجموعات، التي لا تتمتع بامتياز طبقي. ولو ارتأينا الصِدقَ في معالجةِ السياسات النسوية، لكانت أهدافنا وما زالت هي أن نصبح مكتفياتٍ ذاتياً من النَّاحيةِ الاقتصادية، وأن نجد طرقاً لمساعدة النساء الأخريات في جهودهن لتحسين أنفسهن اقتصادياً. تتعارض تجاربنا مع الافتراض القائل إن المرأة لا يمكن أن تكسب اقتصادياً إلا من خلال العمل بالتواطؤ مع النظام الأبوي الرأسمالي الحالي. في جميع أنحاء هذه الأمة، تشارك النسويات الفرديات اللاتي يتمتّعن بسلطة طبقية، واللاتي يدعمن رؤية ثورية للتغيير الاجتماعي، في الموارد، ويستخدمنَ قوَّتنا للمساعدة في الإصلاحات التي من شأنها تحسين حياة النساء بغض النظر عن الطبقة.

يكمن الأمل الحقيقي الوحيد للتحرر النسوي في رؤية التغيير الاجتماعي الذي يتحدى النخبوية الطبقية (class elitism). اكتسبت النساء الغربيات قوة طبقية وتفاوتاً أكبر بين الجنسين؛ لأن النظام الأبوي العالمي المتعصب للبيض يستعبد و/أو يخضع جماهير نساء العالم الثالث. في هذا البلد، تقومُ قوى صناعة السجون المرتفعةِ، وقوى الرفاهية الموجهة نحو العمل، جنباً إلى جنب مع سياسة الهجرة المحافظة، بإبرامِ عقودٍ مع ظروفٍ من العبوديَّة ثمَّ تتغاضى عنها. سيؤدي إنهاء الرفاهية إلىٍ إنشاء طبقة دنيا جديدة من النساء والأطفال لتتم إساءة معاملتهم واستغلالهم من خلالِ هياكل الهيمنةِ القائمة.

بالنظر إلى الحقائق المتغيرة للطبقة في أمتنا، واتساع الفجوات بين الأغنياء والفقراء، واستمرار تأنيث الفقر، نحن بحاجة ماسَّة إلى حركة نسوية راديكالية جماهيرية يمكنها البناء على مكاسبِ الماضي، بما في ذلك المكاسب الإيجابية المتولدة من خلال الإصلاحات، مع تقديم استجواب ذي مغزى للنظرية النسوية الحالية، التي كانت ببساطة خاطئة في حين تقدم لنا استراتيجيات جديدة. إلى حد كبير، إن الحركة ذات الرؤية ستؤسس عملها في الظروف الملموسة للطبقة العاملة والنساء الفقيرات. وهذا يعني إنشاء حركة تبدأ التعليم من أجل الوعي النقدي؛ حيث تحتاج النساء، النساء النسويات اللواتي يتمتعن بسلطة طبقية، إلى إنشاء مساكن منخفضة الدخل يمكن للمرأة أن تمتلكها. سيُظهر إنشاء تعاونيات إسكان وفقَ المبادئ النسوية كيفَ يمكنُ أن يرتبطُ النِّضال بجميع حيوات النِّساء.

عندما تستخدم النساء، اللواتي يتمتعن بسلطة طبقية، بشكل انتهازي، برنامجاً نسوياً، بينما يقوضن السياسات النسوية، التي تساعد في الحفاظ على نظام أبوي سيعيد إخضاعهن في النهاية، فإنهن لا يخُنَّ النسوية فحسب؛ بل يخُنَّ أنفسهنَّ. بالعودة إلى مناقشة قضيَّة الطبقة، سيعيدُ النِّسويوّن والنِّسويات الظروف اللازمة لتحقيق التَّضامن. سنكون بعد ذلك أكثر قدرة على تصور عالم يتم فيه تقاسمٍ الموارد، وتكثر فيه فرص النمو الشخصي للجميع، بغض النظر عن الطَّبقةِ الاجتماعيَّة.

النِّسوية العالميَّة

كافحت المناضلات النِّسويات من أجل نيلِ الحرية في جميع أنحاء العالم بمفردهن ضد النظام الأبوي والهيمنة الذكوريَّة. ونظراً إلى أن الأشخاص الأوائل على كوكب الأرض كانوا من غير البيض، من غير المرجح أن تكون النساء البيض أول إناث تمردنَ على هيمنة الذكور. في الثقافة الغربية الأبوية، يحدد التفكير الاستعماري الجديد نغمة العديد من الممارسات الثقافية.

يركز هذا التفكير دائماً على من احتل أرضاً، ومن لديه ملكية، ومن له الحق في الحكم. لم تظهر السياسات النسوية المعاصرة بوصفها ردَّ فعلٍ راديكالياً على الاستعمار الجديد.

أعلنت النساء البيض من الطبقة المحظوظة بسرعة عن «ملكيتهن» للحركة، ووضعن نساء بيضاً من الطبقة العاملة، ونساء بيضاً فقيرات، وجميع النساء ذوات البشرة الملوَّنة، في موقع التَّابعات.

لا يهمُّ عدد النساء البيض اللاتي ينتمينَ إلى الطبقة العاملة، أو النساء السوداوات اللواتي قدنَ الحركة النسائية في اتجاهات راديكالية. في النِّهاية، أعلنت النساء البيض، اللواتي يتمتعن بسلطة طبقية، أنهن يمتلكن الحركة، وأنهن قائدات لها والبقيَّة تابعات. لقد طغت العلاقات الطبقية الطفيلية على قضايا العرق والأمة والجنس في الاستعمار الجديد المعاصر. والنسوية لم تبقَ بمعزل عن تلك الديناميكية.

في البداية، عندما أعلنت القائدات النسويات في الولايات المتحدة عن الحاجة إلى المساواة بين الجنسين هنا، لم يسعينَ إلى معرفة ما إذا كانت هناك حركات مماثلة تحدث بين النساء في جميع أنحاء العالم. وبدلاً من ذلك، أعلنَّ أنفسهنَّ متحررات، ومن ثَمَّ في وضع يسمح لهنَّ بتحرير أخواتهنَّ الأقل حظاً، ولاسيما أولئك اللاتي يعشنَ في «العالم الثالث». تم بالفعل سنّ هذه الأبوية الاستعمارية الجديدة لإبقاء النساء ذوات البشرة الملونة في الخلف؛ حيث تكون النساء البيض المحافظاتُ/ الليبرالياتُ الممثلاتِ الحقيقيات للنسوية فقط. تميل النساء البيض الراديكاليات إلى عدم «تمثيلهن»، وإذا تم تمثيلهن، فسيتم تصويرهن كعنصر غريب هامشي. لا عجب، إذاً، في أن «الحركة النسائية القوية» في التسعينيات تقدِّمُ النساء البيض الثريات من جنسين مختلفين أمثلةً على النجاح النسوي.

في الحقيقة، ساعد استيلاؤهنَّ المهيمن على الخطاب النسوي حول المساواة على إخفاء ولائهنَّ للطبقات الحاكمة داخل الأبوية الرأسمالية البيضاء. شعرت النسويات الراديكاليات بالفزع لرؤية الكثير من النساء (من جميع الأعراق) يملكن المصطلحات النسوية بينما يحافظن على التزامهن بمبادئ الإمبريالية الغربية والرأسمالية العابرة للحدود. في حين أن النسويات في الولايات المتحدة كنَّ على حقٍّ في لفت الانتباه إلى الحاجة إلى المساواة العالمية للمرأة، نشأت المشكلات عندما عرضت هؤلاء النسويات، اللواتي يتمتعن بسلطة طبقية، التخيلات الإمبريالية على النساء على مستوى العالم، وكان الخيال الرئيسي هو أن النساء في الولايات المتحدة يتمتعن بحقوق أكثر من أي مجموعة من النساء على مستوى العالم، أي أنَّ المرأة الأمريكيَّة «حرة»، ومن ثَمَّ

يحق لها قيادة الحركة النسوية، ووضع أجندات نسوية لجميع النساء الأخريات في العالم، ولاسيما النساء في دول العالم الثالث. مثل هذا التفكير يعكس فقط العنصرية الإمبريالية والتميز الجنسي للجماعات الحاكمة من الرجال الغربيين، ومعظم النساء في الولايات المتحدة لا يعرفنَ أو يستخدمن مصطلحات الاستعمار والاستعمار الجديد. معظم النساء الأمريكيات، ولاسيما النساء البيض، لم يقمن بالتَّخلُّصِ من تفكيرهنّ الكولونيالي سواء في ما يتعلق بالعنصرية والتميز الجنسي والنخبوية الطبقية، التي يحملنها تجاه مجموعات النساء الأقل قوة في هذا المجتمع، أم جماهير النساء على مستوى العالم. عندما عالج المفكرون النسويون الفرديون غير المستنيرين القضايا العالمية لاستغلال الجنسين والقمع، فعلوا ذلك من منظور الاستعمار الجديد. بشكل ملحوظ، تؤكد النساء البيض الراديكاليات، اللائي يكتبن في كتاب(Night-Vision: Illuminating War and Class on the NeoColonial Terrain)، حقيقةَ أن «عدم فهم الاستعمار الجديد يعني عدم العيش بشكل كامل في الوقت الحاضر». نظراً إلى أن النسويات البيض غير المستنيرات لم يرغبن في الاعتراف بمجالات الحياة الأمريكية؛ حيث تصرفن بالتواطؤ مع النظام الأبوي الرأسمالي والتفوق الرَّأسمالي الأبيض الإمبريالي، كانت هناك حاجة إلى احتجاج ومقاومة مستمرة من جانب النساء السود/ النساء ذوات البشرة السوداء، وأخواتنا البيض الراديكاليات؛ إلى تحطيمِ جدار الإنكار.

ورغم ذلك، حتى عندما تبنت أعداد كبيرة من الناشطات النسويات منظوراً يعالجُ مسألة العرق والجنس والطبقة والجنسية، استمرت النسويات البيض في إبراز صورة النسوية التي تربط المساواة بين المرأة

والإمبريالية. قضايا المرأة العالمية مثل: الختان القسري للإناث، ونوادي الجنس في تايلاند، وحجاب النساء في أفريقيا والهند والشرق الأوسط وأوروبا، وقتل الفتيات الصغيرات في الصين، لا تزال من الشواغل المهمة. ورغم ذلك، لا تزال النساء النسويات في الغرب يكافحن من أجل إنهاء استعمار الفكر والممارسة النسوية حتى يمكن معالجة هذه القضايا بطريقة لا تعيد ترسيخ الإمبريالية الغربية. تأمل الطريقة التي واجه بها العديد من النساء الغربيات، البيض والسود، قضية ختان الإناث في أفريقيا والشرق الأوسط. عادة، يتم تصوير هذه البلدان على أنها «بربرية وغير متحضرة»، وقد تم تصوير التحيز الجنسي هناك على أنه أكثر وحشية وخطورة على النساء من التحيز الجنسي هنا في الولايات المتحدة.

إن المنظور النسوي الديكولونيالي من شأنه أن يدرس أوَّلاً، وقبل كل شيء، ترتبطُ الممارسات الجنسية المتعلّقةُ بأجساد النساء فيما بينها على مستوى العالم. على سبيل المثال، ربط الختان باضطرابات الأكل التي تهدد الحياة (والتي هي نتيجة مباشرة لثقافة تفرض النحافة كمثالية للجمال)، أو أي جراحة تجميلية تهدد الحياة، من شأنها أن تؤكد أن التحيز الجنسي، وكراهية النساء، الكامنة وراء هذه الممارسات، تعكس التمييز الجنسي على الصعيد العالمي هنا في هذا البلد. حينَ يتم التعامل مع القضايا بهذه الطريقة، لن نتمكّن من إعادة قراءةِ الإمبريالية الغربية، ولن تستطيعَ الحركة النسوية الخضوعِ للرأسمالية العابرة للحدود الوطنية؛ ما دامَ كلُّ منتج فاخر آخر من الغربِ يسترعي على النساء في الثقافات الأخرى الكفاح من أجل الحصول على حقِّهنَّ في استهلاكهِ.

النِّساء في فضاء العمل

أكثر من نصف النساء في الولايات المتحدة يعملن. عندما بدأت الحركة النسوية المعاصرة، كان ثلث القوى العاملة فعليًّا من الإناث. وبوصفي أنحدرُ من الطبقة العاملة، ومن خلفية أمريكية من أصل أفريقي؛ حيث كان معظم النساء اللواتي أعرفهن في القوى العاملة، كنت من بين أشد المنتقداتِ لرؤية النسوية التي طرحها المفكرون الإصلاحيون عندما بدأت الحركة، والتي اقترحت أن العمل من شأنه أن يحرر النساء من هيمنة الذكور. منذ أكثر من عشرِ سنوات، كتبت في (النظرية النسوية: من الهامش إلى المركز) أنَّ التركيز على العمل، بوصفهِ مفتاحاً لتحرير المرأة، قد دفع العديد من الناشطات النسويات البيض إلى تصديقِ مقولةِ أن النساء العاملات «متحررات بالفعل». لقد كُنَّ في الواقع يقلنَ لأغلبية النساء العاملات: «الحركة النسوية ليست شأنكنَّ». والأهم من ذلك أنني كنت أعرف عن كثب أن العمل بأجور منخفضة لم يحرر النساء الفقيرات ونساء الطبقة العاملة من هيمنة الذكور.

عندما كانت المفكرات النسويَّات الإصلاحيَّات، اللاتي ينحدرنَ من خلفيات طبقيَّة متميزة، واللاتي كانت أجندتهنَّ الأساسية تحقيق المساواة الاجتماعية مع رجال ينتمونَ إلى طبقتهن، ينادينَ بتحقيقِ المساواة، كُنَّ يقصدنَ المساواة في الوظائف ذات الرواتب العالية. كانت رؤيتهنَّ للعمل لا تكتسي أهمِّيَّةً لدى جماهير النساء. كان جانب التركيز النسوي على العمل، الذي أثر في جميع النساء بشكل مهم، هو المطالبة بأجر متساوٍ للعمل المتساوي. اكتسبت المرأة المزيد من

الحقوق في ما يتعلق بالرواتب والمناصب نتيجة الاحتجاج النسوي، لكنها لم تقض تماماً على التمييز بين الجنسين. في العديد من الفصول الدراسية في الكليات اليوم، سوف يجادل الطلاب، ذكوراً وإناثاً، بأن الحركة النسوية لم تعد ذات صلة؛ لأن النساء يتمتعن الآن بالمساواة. إنهم لا يعرفون حتى أن معظم النساء ما زلن لا يحصلن على أجر متساوٍ مقابل العمل المتساوي، وأنَّهُ من المرجح أن نجني ثلاثة وسبعين سنتاً مقابل كل دولار يجنيه الرجل.

نحن نعلم الآن أن العمل لا يحرر المرأة من سيطرة الذكور. في الواقع، هناك العديد من النساء العاملات يحصلنَ على أجور مرتفعة، كما يوجدُ العديد من النساء الثريات، اللائي يبقين في علاقات مع الرجال؛ حيث هيمنة الذكور هي القاعدة. بشكل إيجابي، نحن نعلم أنه إذا كان لدى المرأة إمكانية الوصول إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي، فمن المرجح أن تتخلّى عن علاقتها بالرَّجل حيث تكون هيمنة الذكور هي القاعدة عندما تختار التحرر. هي تتخلَّى عن تلكَ العلاقة لأنها تستطيع التَّخلِّي عنها. تشترك الكثير من النساء في التفكير النسوي، ويخترن التحرر، لكنهن مرتبطات اقتصادياً بالأبويَّةِ الذُّكوريَّةِ بطرق تجعل تركهن صعباً إن لم يكن مستحيلاً تماماً. تعرف معظم النساء الآن ما عرفه البعض منا عندما بدأت الحركة؛ تعرف أن هذا العمل لن يحررنا بالضرورة، لكن هذه الحقيقة لا تغير حقيقة أن الاكتفاء الذاتي الاقتصادي ضروري إذا أرادت المرأة أن تتحرر. عندما نتحدث عن الاكتفاء الذاتي الاقتصادي باعتباره تحررياً، وليس عملاً فحسب، علينا أن نتخذ الخطوة التالية، ونتحدث عن نوع العمل الذي يقودنا إلى

التَّحرر. من الواضح أن الوظائف ذات الأجور الأفضل، وذات الجداول الزمنية المريحة، تميل إلى توفير أكبر قدر من الحرية للعامل.

تشعر جماهير النساء بالغضب؛ لأن التفكير النسوي شجعهن على الاعتقاد بأنهن سيجدن التحرر في القوى العاملة. في الغالب وجدنَ أنهنَّ يعملنَ لساعات طويلة في المنزل، وساعات طويلة في العمل. حتى قبل أن تشجع الحركة النسوية النساء على التَّعاملُ بإيجابيَّة مع العمل خارج المنزل، كانت احتياجات الاقتصاد الذي يتَّسم بالرُّكود تسمحُ بهذا التحول.

لو لم تحدث الحركة النسوية المعاصرة البتَّةَ، لشهدنا دخولَ جماهير النساء إلى سوق العمل، لكن من غير المحتمل أن نحصل على الحقوق التي نتمتع بها الآن، لو لم تتحدَّ النسويات التميز بين الجنسين. النساء مخطئات في «إلقاء اللوم» على الحركة النسوية لجعلها مضطرة إلى العمل، وهو ما يعتقده العديد من النساء. تظل الحقيقة قائمة على كونِ الرأسمالية الاستهلاكية كانت القوة التي دفعت المزيد من النساء إلى الانخراطِ في القوة العاملة. بالنظر إلى ركودِ الاقتصاد، لن تتمكن عائلات الطبقة الوسطى البيضاء من الحفاظ على وضعها الطبقي وأنماط حياتها، إذا كانت النساء، اللواتي حلمن مرة واحدة فقط بالعمل كربات بيوت، لم يخترن العمل خارج المنزل.

لقد وثّقت الدراسات النسوية أنّ الفوائد الإيجابية، التي اكتسبتها جماهير النساء من خلال دخول القوة العاملة، لها علاقة أكبر بزيادة احترام الذات والمشاركة الإيجابية في المجتمع. بغض النظر عن طبقتها، كانت المرأة، التي بقيت في المنزل، تعمل ربة منزل، وغالباً ما

تكون معزولة ووحيدة ومكتئبة. في حين أن معظم العمال لا يشعرون بالأمان في العمل، سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً، إلا أنهم يشعرون بأنهم جزء من شيء يتجاوزهم.

لئن كانت المشكلات في المنزل تسبب ضغوطاً أكبر ويصعب حلها، فإنَّ تلك الموجودة في مكان العمل مشتركة بين الجميع، ومحاولة إيجاد حلول ليست منعزلة. عندما قام الرجال بمعظم العمل، عملت النساء على جعل المنزل موقعاً للراحة والاسترخاء للذكور. كان المنزل مريحاً للنساء فقط عندما لا يكون الرجال والأطفال موجودين. عندما تقضي النساء في المنزل كلّ وقتهنّ في تلبية احتياجات الآخرين، فإن المنزل هو مكان عمل لها، وليس مكاناً للاسترخاء والراحة والمتعة. كان العمل خارج المنزل أكثر تحرُّراً للنساء غير المتزوجات (العديد منهن يعشن بمفردهن، قد لا يكنَّ بالذَّات مغايرات heterosexual). لم يتمكن معظم النساء حتى من العثور على عمل مُرضٍ، وقد أدت مشاركتهن في القوة العاملة إلى تدهور نوعية حياتهن المنزلِيَّةِ.

تمكنت مجموعات النساء المتعلمات تعليماً جيِّداً والمتميزات والعاطلات عن العمل، أو العاملات اللاتي في وضعيَّة هشَّةٍ، من خلال التغييرات النسوية في التمييز الوظيفي، من الحصول على قدر أكبر من العمل المرضي، الذي يعد بمنزلة قاعدة للاكتفاء الذاتي الاقتصادي. نجاحهنَّ لم يغير مصير جماهير النساء. قبل سنوات كتبتُ في كتابي (النظرية النسوية: من الهامش إلى المركز):

إذا كان تحسين الظروف في مكان العمل للنساء يمثِّلُ أجندةً مركزيَّةً للحركة النسوية، بالتزامن مع الجهود المبذولة للحصول على وظائف

ذات رواتب أفضل للنساء، وإيجاد وظائف للنساء العاطلات عن العمل من جميع الطبقات، فقد كان يُنظر إلى النسوية على أنها حركة تعالج مخاوف النساء من جميعِ الانتماءات. ساهمَ التركيز النسوي على وضعيَّةِ العملِ النِّسائيَّةِ في حصولِ النِّساء على وظائفَ عاليةٍ في مهن عالية الأجر، ولم يكنَّ مجرَّدَ نِساءٍ مستلباتٍ وعلى مسافةٍ من الحركة النسوية؛ لقد سمحنَ للناشطات النسويات بتجاهل حقيقة أن زيادة دخول النساء البرجوازيات إلى قوة العمل لم يكن علامة على أن النساء كمجموعة يكتسبن القوة الاقتصادية. لو نظرنَ إلى الوضع الاقتصادي للفقراء ونساء الطبقة العاملة، لَكُنَّ تأمَّلنَ مشكلة البطالة المتزايدة وزيادة دخول النساء من جميع الطبقات إلى صفوف الفقراء.

أصبح الفقر قضية مركزية للمرأة. إن المحاولات الأبوية الرأسمالية القائمة على التفوق الأبيض لتفكيك نظام الرعاية الاجتماعية في مجتمعنا ستحرم النساء الفقيرات والمعوزات من الوصول حتى إلى أبسط ضروريات الحياة: المأوى والطعام. في الواقع، إنَّ العودة إلى الأسر التي يهيمن عليها الرجال هي الحل الذي يقدمه السياسيون المحافظون للنساء، فهم يتجاهلون حقيقة البطالة الجماعية لكل من النساء والرجال.

لا توجد أجندة نسوية تقدم للنساء مخرجاً أو طريقةً لإعادة التفكير في العمل. نظراً إلى ارتفاع تكلفة المعيشة في مجتمعنا، إن العمل لا يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي لمعظم العمال، بمن في ذلك النساء. ورغم ذلك، هناك حاجة إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي، إذا كان لجميع النساء أن يكون لهن الحرية في الاختيار ضد هيمنة الذكور لبناءِ الذَّات بشكل كامل.

سيؤدِّي الطريق إلى مزيد من الاكتفاء الذاتي الاقتصادي بالضرورة إلى أنماط حياة بديلة تتعارض مع صورة الحياة الجيدة، التي قدمتها لنا وسائل الإعلام الأبوية الرأسمالية المتعصبة للبيض. لكي نعيش بشكل كامل وبصحة جيدة، وللقيام بعمل يعزز احترام الذات، مع الحصول على أجر معيشي، سنحتاج إلى برامج لتقاسم الوظائف. سيحتاج المعلمون وعمال الخدمة في جميع المجالات إلى دفع رواتب أعلى. يجب أن تحصل النساء والرجال، الذين يرغبون في البقاء في المنزل وتربية الأطفال، على أجور مدعومة من الدولة بالإضافة إلى برامج التعليم المنزلي، التي ستمكنهم من إنهاء الدراسة الثانوية والعمل على شهادات الدراسات العليا في المنزل. إذا كانت الرعاية الاجتماعية وليس الحرب (الإنفاق العسكري) قد أقرتها حكومتنا، وكان جميع المواطنين يتمتعون قانوناً بإمكانية الوصول إلى عام أو عامين من حياتهم حصلوا خلالها على مساعدة الدولة، إذا لم يتمكنوا من العثور على وظيفة، فإن وصمة العار المرتبطة ببرامج الرعاية الاجتماعية لم تعد موجودة. إذا كان الرجال يتمتعون بفرص متساوية في الحصول على الرعاية الاجتماعية، فلن يحمل ذلك وصمة العار المتعلقة بنوع الجنس.

يفصل الانقسام الطبقي المتزايد بين جماهير النساء الفقيرات عن نظرائهن المتميزات. في الواقع، إن الكثير من مجموعات النخبة من النساء في السلطة الطبقية في مجتمعنا، ولا سيما النساء الثريات، يكتسبنَ حرِيتهنَّ على حساب حرية نِساءٍ أُخريات.

توجد بالفعل مجموعات صغيرة من النساء لديهن سلطة طبقية تعمل على بناء الجسور من خلال البرامج الاقتصادية، التي تقدم المساعدة

والدعم للنساء الأقل حظاً. تعمل النساء الثريات، ولا سيما النساء اللواتي لديهن ثروة موروثة، واللواتي ما زلن ملتزمات بالتحرر النسوي، على تطوير استراتيجيات للاقتصاد التشاركي تُظهر اهتمامهن وتضامنهن مع النساء اللائي يفتقرن إلى القوة الطبقية. في الوقت الحالي، يشكل هؤلاء الأفراد أقلية صغيرة، لكن صفوفهنَّ سوف تتضخم مع ازدياد شهرة عملهنَّ.

قبل ثلاثين عاماً، لم تتوقع النسويات المعاصرات التغييرات التي ستحدث في عالم العمل في مجتمعنا.

لم يدركنَ أنَّ البطالة الجماعية ستصبح أكثر من المعتاد، وأن النساء يمكن أن يُعدِدنَ أنفسهن لوظائف لن تكون موجودة ببساطة. لم يتنبَّأنَ بهجوم المحافظين والليبراليين أحياناً على نظام الرَّفاه، الطريقة التي يتم بها إلقاء اللوم على الأمهات العازبات، اللائي ليس لديهن المال بسبب محنتهن الاقتصادية وإضفاء الشيطانية عليها. تتطلب كل هذه الحقائق غير المتوقعة من المفكرين النسويين البصيرة والتفكير من جديد في العلاقة بين التحرير والعمل.

بينما تخبرنا الكثير من الدراسات النسوية عن دور المرأة في القوى العاملة اليوم، وكيف يغير ذلك إحساسهن بالذات ودورهن في المنزل، إلا أننا لا نملك العديد من الدراسات التي تخبرنا ما إذا كان المزيد من النساء العاملات قد غيّرنَ بشكل إيجابي هيمنة الذكور. يلقي العديد من الرجال اللومَ على النساء العاملات بسبب البطالة، لفقدانهن الهوية الثَّابتة، ويُنظرُ إليهنَّ على أنَّهنَّ عاملات ذكوريات، حتى لو كان ذلكَ مجرد خيال. يجب أن يكون جدول الأعمال النسوي المهم للمستقبل

هو إعلام الرجال بشكل واقعي بطبيعة المرأة والعمل حتى يتمكنوا من رؤية أن النساء في القوى العاملة لسنَ أعداءهم.

كانت النساء جزءاً من القوى العاملة منذُ فترة طويلة من الآن. سواء حصلن على أجر جيد أم أجور منخفضة، إن العديد من النساء لم يجدن عملاً ذا مغزى كما اقترحت الرؤى الطوباوية النسوية. عندما تعمل النساء لكسب المال للاستهلاك أكثر بدلاً من تحسين نوعية حياتنا على جميع المستويات، فإن العمل لا يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي. المزيد من المال لا يعني المزيد من الحرية إذا لم يتم استخدام مواردنا المالية لتمهيدِ الطَّريق إلى حياةٍ جيّدةٍ. إنَّ إعادة التفكير في معنى العمل مسألةٌ مهمَّةٌ للحركة النسوية المستقبلية. إن معالجة كلتا الطريقتين، اللتين يمكن للمرأة أن تترك بهما صفوف الفقراء، بالإضافة إلى الاستراتيجيات التي يمكن أن تستخدمها للحصول على حياة جيدة حتى لو كان هناك نقص كبير في المواد، أمر حيوي لنجاح الحركة النسوية.

في وقت مبكر لم تجعل الحركة النسوية الاكتفاء الذاتي الاقتصادي للمرأة هدفها الأساسي. ورغم ذلك، إن معالجة المحنة الاقتصادية للمرأة قد تكون، في نهاية المطاف، المنصة النسوية، التي ترسم إجابةً جماعية. قد يصبح مكان التنظيم الجماعي، الأرضية المشتركة، القضيةَ التي توحد كل النساء.

العرق والجندر

لم يغير أي تدخل وجه النسوية الأمريكية أكثر من مطالبة المفكرين النسويين بالاعتراف بالواقع الذي يفرضهُ كلٌّ من العرق والنَّزعةِ العنصرية. تعرف جميع النساء البيض في هذه الأمة أن وضعهن يختلف عن وضع النساء السود/ النساء ذوات البشرة الملونة. إنَّهنَّ على علم بذلكَ منذ أن كنَّ فتياتٍ صغيراتٍ يشاهدن التلفاز، وينظرن إلى المجلاّت، ويكتفينَ بتأمّل صورهن فقط. يعرفن أن السبب الوحيد لغياب/ اختفاء غير البيض هو أنهنَّ لسنَ من البيض. تعرف جميع النساء البيض في هذه الأمة أن البياض هو فئة مميزة. حقيقة أن النساء البيض قد يخترنَ قمع أو إنكار هذه المعرفة لا تعني أنهن جاهلات؛ هذا يعني أنهن في حالة إنكار.

لم تفهم أي مجموعة من النساء البيض الاختلافات في وضعهن ووضع النساء السود أكثر من مجموعة النساء البيض الواعيات سياسياً، اللاتي كنَّ ناشطات في النضال من أجل الحقوق المدنية.

توثق مذكرات ويوميَّات هذه الفترة من التاريخ الأمريكي، التي كتبتها نساء بيض، هذه الفكرة. ورغم ذلك، انتقل العديد من هؤلاء الأفراد من المطالبة بالحقوق المدنية إلى تحرير المرأة، وقُدنَ حركة نسوية؛ حيث قمعنَ وأنكرنَ الوعي بالاختلاف الذي رأينهُ وسمعنه بشكل مباشر في النضال من أجل الحقوق المدنية. كونهنَّ شاركنَ في النضال ضد العنصرية فقط لا يعني أنهنَّ قد تخلَّينَ عن تفوق البيض، وكانت الأفكار من قبيل إنهنَّ متفوِّقات على الإناث السود، وأكثر وعياً، وأفضل تعليماً، وأكثر أهليَّة «لقيادة» الحركة من الأفكارِ السَّائدة حينها.

من نواحٍ عديدة، كُنَّ يسرن على خطى أسلافهنَّ، اللاتي قاومنَ العبوديَّة واللَّاتي طالبنَ بمنح الجميع (النساء البيض والبشر السُّود) الحق في التصويت، ولكن عندما واجهنَ احتماليَّة حصول الذكور السود على حق التصويت بينما كنَّ يعارضنَ ذلكَ من النَّاحية الجندريَّة، اخترنَ التحالف مع الرجال، متحدين تفوُّق البيض.

اختارت النساء البيض المعاصرات، اللواتي شهدنَ المطالب المنادية بمزيد من الحقوق للسود، تلك اللحظة للمطالبة بمزيد من الحقوق لأنفسهن. تدعي بعضهن أنها مطالب كانت تعمل لمصلحة الحقوق المدنية، التي جعلتهنَّ مدركات للتَّمييز على أساس الجنس والاضطهاد الجنسي. ورغم ذلك، إذا كانت هذه هي الصورة الكاملة، فقد يعتقد المرء أن وعيهنَّ السياسي الجديد حولَ الاختلاف كان سيتعطلُّ بنفس الطَّريقة التي عُطِّلت بها نظريات الحركة النسوية المعاصرة.

لقد انضممنَ إلى الحركة، وهنَّ يمحين وينكرن الاختلاف، لا يضعنَ مسألةَ العرق إلى جانب المسألة الجندرية، بل يزلنَ العرق من الصورة. كان وضع الجندر في المقدمة يعني أن النساء البيض يمكن أن يحتللنَ مركز الصدارة، ويمكنهن ادعاء أن الحركة هي ملكهن، حتى عندما دعيت جميع النساء للانضمام. إن الرؤية اليوتوبية للأختيَّةِ، التي أثيرت في الحركة النسوية، لم تأخذ في البداية الاختلافات العرقية أو النضال ضد العنصرية على محمل الجد، ولم تستحوذ على خيال معظم النساء السود/ النساء ذوات البشرة الملونة. بقيت النساء السود الناشطات في الحركة منذ بدايتها في الغالب في مكانهن. عندما بدأت الحركة النسوية، كان الاندماج العنصري لا يزال أمراً نادراً. كان العديد من النِّساء السود يتعلمنَ كيفيَّة التفاعل مع البيض على أساس كونهنَّ

أقراناً لأول مرة في حياتهن. لا عجب أن النساء السوداوات، اللاتي اخترن النسوية، كن مترددات في تقديم وعيهن بالعرق. لا بد من أنَّ من الرائع أن تستحضرَ النساء البيض الأختيَّة في عالم نظرنَ فيهِ إلى النِّساء البيض على أنَّهن استغلاليات وقامعات.

تحدى جيل أصغر من الإناث/ النساء ذوات البشرة السمراء، في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، عنصرية الإناث البيض. على عكس حلفائنا من النساء السود الأكبر سناً، فقد تعلمنا في الغالب في أماكن يغلب عليها البيض. لم يكن معظمنا البتَّة في موضع تبعية في ما يتعلق بالأنثى البيضاء. لم يكن معظمنا من القوى العاملة. لم نكن في مكاننا قط. كنا في وضع أفضل لنقد العنصرية وتفوق البيض داخل الحركة النسائية. كانت النساء البيض الفرديات، اللائي حاولن تنظيم الحركة حول راية الاضطهاد المشترك الذي يستحضر فكرة أن النساء يشكلن طبقة أو طائفةً جنسية، أكثر تردداً في الاعتراف بالاختلافات بين النساء، وهي الاختلافات التي طغت على جميع التجارب النِّسائيَّة المشتركة. كان العرق هو الاختلاف الأكثر وضوحاً.

لقد شهدتُ لسنوات إحجام المفكرات النسويَّات البيض عن الاعتراف بأهمية العرق. لقد شاهدت رفضهنَّ تجريدهنَّ من التفوق الأبيض، وعدم رغبتهنَّ في الاعتراف بأنَّ الحركة النسوية المناهضة للعنصرية هي الأساس السياسي الوحيد الذي من شأنه أن يجعل الأختيَّة حقيقة واقعة. وشهدت ثورة الوعي التي حدثت عندما بدأت النساء الفردانيَّات في التحرر من الإنكار، والتحرر من التفكير التفوقي للبيض. هذه التغييرات الهائلة تعيد إيماني بالحركة النسوية، وتقوي التضامن الذي أشعر به تجاه جميع النساء.

استفاد الفكر النسوي الكلي والنظرية النسوية من جميع التدخلات النقدية في قضية العرق. كان المجال الإشكالي الوحيد هو ترجمة النظرية إلى ممارسة. بينما أدرجت النساء البيض بشكل فردي تحليلاً للعرق في الكثير من الدراسات النسوية، لم يكن لهذه الأفكار تأثير كبير في العلاقات اليومية بين النساء البيض والنساء ذوات البشرة الملونة. التفاعلات المناهضة للعنصرية بين النساء صعبة في مجتمع لا يزال معزولاً عرقياً. على الرغم من إعدادات العمل المتنوعة، لا تزال الأغلبية العظمى من النساء يتواصلنَ مع مجموعتهنَّ فقط. تخلق العنصرية والتمييز على أساس الجنس معاً حواجز ضارة بين النساء. حتى الآن لم تكن الاستراتيجيات النسوية لتغيير ذلك مفيدة للغاية.

تحتاج النساء البيض والنساء الملونات، اللواتي عملن من خلال الصعوبات لإفساح المجال؛ حيث يمكن أن تظهر روابط الحب والتضامن السياسي، إلى مشاركة الأساليب والاستراتيجيات التي استخدمناها بنجاح. لا يتم إعطاء أي اهتمام تقريباً للعلاقة بين الفتيات من أعراق مختلفة. إن المنح الدراسية النسوية المتحيزة، التي تحاول إظهار أن الفتيات البيض أكثر عرضة للتكيف الجنسي من الفتيات الملونات، ببساطة، تديم افتراض تفوق العرق الأبيض بأن الإناث البيض يتطلبن ويستحققنَ مزيداً من الاهتمام بمخاوفهن وأمراضهن أكثر من المجموعات الأخرى. في الواقع، لئن كنَّ الفتيات الملونات يستطعنَ التَّعبير عن سلوك مختلف عن نظرائهن البيض، فإنهن لا يستوعبن فقط تكييفاً متحيزاً جنسياً، بل من المرجح أن يقعن ضحية للتمييز على أساس الجنس بطرق لا يمكن إصلاحها.

مهدت الحركة النسوية، ولاسيما عمل الناشطات السود اللاتي يحملنَ رؤية، الطريق لإعادة النظر في العرق والعنصرية، التي كان لها تأثير إيجابي في مجتمعنا ككل. نادراً ما تعترف الانتقادات الاجتماعية السائدة بهذه الحقيقة. بصفتي منظِّرة نسوية كتبت على نطاق واسع حول مسألة العرق والعنصرية داخل الحركة النسوية، فأنا أعلم أنه لا يزال هناك الكثير مما يجب مواجهته وتغييره، ولكن من المهم أيضاً الاحتفاء بالتغييرات الهائلة التي حدثت. هذا الاحتفاء، وفهم انتصاراتنا، واستخدامها كنماذج، يعني أنها يمكن أن تصبح الأساس السليم لبناء حركة نسوية جماهيرية مناهضة للعنصرية.

القضاء على العنف

إلى حد بعيد، تظل الجهود المبذولة لخلق وإدامة وعي ثقافي أكبر بالعنف المنزلي واحدةً من أكثر التدخلات الإيجابية انتشاراً للحركة النسوية المعاصرة، بالإضافة إلى التغييرات التي يجب أن تحدث في تفكيرنا وعملنا إذا أردنا أن نرى نهايته. في الوقت الحاضر، يتم الحديث عن مشكلة العنف المنزلي في العديد من الدوائر، من وسائل الإعلام إلى المدارس الابتدائية، إلى درجة أنه غالباً ما يُنسى أن الحركة النسوية المعاصرة كانت القوة التي كشفت، وكشفت بشكل كبير، عن الواقع المستمر للعنف المنزلي. سلّط التركيز النسوي الضوء في البداية على عنف الذكور ضد المرأة داخل المنزل، ولكن مع تقدم الحركة، أظهرت الأدلة أن هناك أيضاً عنفاً منزلياً موجوداً في العلاقات الجنسية المثلية، وأن النساء في العلاقات مع النساء كنّ ولا يزلنَ، في كثير من الأحيان، ضحايا للإساءة، وأنَ الأطفال كانوا، في كثير من الأحيان، ضحايا. وكذلك ضحايا العنف الأبوي الذي يمارسه الرجال والنساء.

يرتكز العنف الأبوي في المنزل على الاعتقاد بأن من المقبول لفرد أقوى أن يتحكم في الآخرين من خلال أشكال مختلفة من القوة القسرية. يشمل هذا التعريف الموسع للعنف الأسري عنف الذكور ضد المرأة، والعنف المثلي، وعنف البالغين ضد الأطفال. مصطلح «العنف الأبوي» مفيد؛ لأنه على عكس العبارة الأكثر قبولاً «العنف المنزلي»، فإنه يذكر المستمع باستمرار أن العنف مرتبط بالتحيز الجنسي والتفكير الجنسي وبهيمنة الذكور. استُخدِم مصطلح العنف المنزلي لفترة طويلة

جداً كمصطلح «ناعم»، ما يوحي بأنه يظهر في سياق حميمي خاص وأقل تهديداً إلى حد ما، وأقل وحشية، من العنف الذي يحدث خارج المنزل. لكن الأمر ليس كذلك؛ حيث إن عدد النساء، اللاتي يتعرضن للضرب والقتل في المنزل، أكثر منه في الخارج. يميل معظم الناس أيضاً إلى رؤية العنف المنزلي بين البالغين على أنه منفصل ومتميز عن العنف ضد الأطفال عندما لا يكون كذلك. غالباً ما يعاني الأطفال من سوء المعاملة أثناء محاولتهم حماية الأم، التي تتعرض للهجوم من قبل رفيق أو زوج ذكر، أو يتضررون عاطفياً من خلال مشاهدة العنف والإيذاء.

مثلما تؤمن الأغلبية العظمى من المواطنين في هذه الأمة بالأجر المتساوي للعمل المتساوي، يعتقد معظم الناس أنّ الرجال لا ينبغي أن يضربوا النساء والأطفال. ورغم ذلك، عندما يتم إخبارهم بأنّ العنف المنزلي هو نتيجة مباشرة للتمييز الجنسي، وأنه لن ينتهي حتى ينتهي التحيز الجنسي، فإنهم غير قادرين على القيام بهذه القفزة المنطقية؛ لأنها تتطلب تحدياً وتغيير طرق التفكير الأساسية تجاه المسألةِ الجندريَّةِ.

إنَّهُ لأمرٌ جليٌّ أن أكون من بين المنظّرات النسويات، اللاتي يعتقدن أن من الضروري للحركة النسوية أن يكون لديها جدول أعمال مهيمن ينهي جميع أشكال العنف. يجب أن يظل التركيز النسوي على العنف الأبوي ضد المرأة الشغل الشاغل. لكن التأكيد على عنف الرجل ضد المرأة بطريقة توحي بأنه أكثر فظاعة من جميع أشكال العنف الأبوي الأخرى لا يخدم مصالح الحركة النسوية؛ إنه يحجب حقيقة أن الكثير من العنف الأبوي موجه ضد الأطفال من قبل النساء والرجال المتحيزين جنسياً.

في محاولة حثيثة للفت الانتباه إلى عنف الذكور ضد النساء، ما زال المفكرون النسويون الإصلاحيون يختارون، في كثير من الأحيان، تصوير النساء على أنهنّ دائماً ضحايا فقط. لم يتم إبراز حقيقة أن العديد من الهجمات العنيفة على الأطفال ترتكب من قبل النساء بشكل متساوٍ، ولا يُنظر إليها على أنها تعبير آخر عن العنف الأبوي. نحن نعلم الآن أنّ الأطفال يتعرضون للانتهاك ليس فقط عندما يكونون أهدافاً مباشرة للعنف الأبوي، ولكن أيضاً عندما يُجبرون على مشاهدة أعمال عنف. لو عبر جميع المفكرين النسويين عن غضبهم من العنف الأبوي، الذي ترتكبه النساء، ووضعوه على قدم المساواة مع عنف الذكور ضد النساء، لكان من الصعب وسيصعب على الجمهور تجاهل الاهتمام بالعنف الأبوي من خلال اعتباره مناهضاً للذكور.

يعرف البالغون، الذين وقعوا ضحايا للعنف الأبوي الذي ارتكبته الإناث، أن النساء لسنَ معصومات من العنف، بغض النظر عن عدد الاستطلاعات التي تخبرنا أن النساء غالباً ما يملن إلى تجنّب العنف. الحقيقة هي أن الأطفال ليس لديهم صوت جماعي منظم للتحدث عن حقيقة عدد المرات التي يتعرضون فيها للعنف الأنثوي. لولا الأعداد الهائلة من الأطفال الذين يسعون للحصول على رعاية طبية بسبب العنف، الذي يمارسه النساء والرجال، لما كان هناك دليل يوثق عنف الإناث. لقد أثَرتُ هذه المخاوف لأول مرة في فصل «الحركة النسائية لإنهاء العنف» في كتاب (النظرية النسوية: من الهامش إلى المركز)، حيث ذكرت:

إنَّهُ لمن الضروري للنضال النسوي المستمر لإنهاء العنف ضد المرأة أن يُنظر إليه على أنه عنصر من عناصر الحركة الشاملة لإنهاء العنف. ركزت الحركة النسوية حتى الآن، في المقام الأول، على عنف الذكور، ونتيجة لذلك تضفي مصداقية على الصور النمطية الجنسية، التي تشير إلى أن الرجال عنيفون، والنساء لسنَ كذلك؛ الرجال هم المعتدون والنساء ضحايا. يسمح لنا هذا النوع من التفكير بتجاهل مدى قبول النساء (مع الرجال) في هذا المجتمع الفكرة القائلة إنَّ من المقبول لحزب أو جماعة مهيمنة أن تحافظ على سلطتها على المهيمن عليها باستخدام القوة القسرية؛ يسمح لنا بتجاهل مدى ممارسة المرأة لسلطة قسرية على الآخرين، أو التصرف بعنف. حقيقة أن المرأة قد لا ترتكب أعمال عنف في كثير من الأحيان، مثل الرجل، لا تنفي حقيقة العنف الأنثوي. يجب أن نرى الرجال والنساء في هذا المجتمع على أنهم مجموعات تدعم استخدام العنف إذا أردنا القضاء عليه.

فالأم التي قد لا تكون أبداً عنيفة، لكنها تعلم أطفالها، ولاسيما أبنائها، أنّ العنف وسيلة مقبولة لممارسة السيطرة الاجتماعية، لا تزال متواطئة مع العنف الأبوي.

على تفكيرها أن يتغيَّر.

من الواضح أن معظم النساء لا يستخدمن العنف للهيمنةِ على الرجال (على الرغم من أن أعداداً صغيرة من النساء يضربن الرجال في حياتهن)، ولكن الكثير من النساء يعتقدن أن الشخص في السلطة له الحق في استخدام القوة للحفاظ على السلطة. تستخدم الأغلبية العظمى من الآباء شكلاً من أشكال العدوان الجسدي أو اللفظي ضد

الأطفال. لمّا كانت النساء ما زلنَ هنَّ المسؤولات الأساسيَّات عن رعاية الأطفال، فإن الوقائع تؤكّد، بالنظر إلى النِّظام التراتبي الذي نجدهُ في ثقافة الهيمنة (مثل العلاقة بين الوالدين والطفل) تؤكّد أنَّ الإناث يستخدمن القوة القسرية للحفاظ على الهيمنة. في ثقافة الهيمنة، يتم تكوين كل فرد اجتماعياً على النَّظرِ إلى العنف بوصفهِ وسيلةً مقبولة لتحقيق السيطرة الاجتماعية. تحتفظ الأطراف المهيمنة بالسلطة من خلال التهديد (سواء تم التصرف بناءً عليها أم لا) باستخدام العقوبة التعسفية، الجسدية أو النفسية، كلما تعرضت الهياكل الهرمية القائمة للتهديد، سواء كان ذلك في العلاقات بين الذكور والإناث، أم في الروابط بين الوالدين والطفل.

تشعرُ الجماهير في أمتنا بالقلق إزاء العنف، لكنها ترفض بحزم ربط هذا العنف بالتفكير الأبوي أو الهيمنة الذكورية. يقدم التفكير النسوي حلاً. والأمر متروك لنا لإتاحة هذا الحل للجميع.

الذُّكوريَّة النِّسويَّة

عندما بدأت الحركة النسوية المعاصرة لأول مرة، كان هناك فصيل شرس مناهض للذكور. أتت النساء المغايرات (heterosexual) إلى الحركة من علاقاتٍ كان الرجال فيها قاسين وعنيفين وغير مخلصين. كان العديد من هؤلاء الرجال مفكرين راديكاليين شاركوا في حركات من أجل العدالة الاجتماعية، وتحدثوا نيابة عن العمال والفقراء، وتحدثوا عن العدالة العرقية. ولكن عندما يتعلق الأمر بمسألة الجنس، فإنهم كانوا متحيزين جنسياً مثل أتباعهم المحافظين. جاءت النساء من هذه العلاقات في حالةٍ من الغضبِ، واستخدمنَ هذا الغضب عاملاً مساعداً في تحرير المرأة. مع تقدم الحركة، مع تقدم الفكر النسوي، رأت النَّاشطات النسويَّات المستنيرات أنَّ الرجال ليسوا هم المشكلة، وأن المشكلة تكمن في النظام الأبوي والتمييز على أساس الجنس والهيمنة الذكورية. كان من الصعب مواجهة حقيقة أن المشكلة لم تكن مع الرجال فقط.

تتطلب مواجهة هذا الواقع تنظيراً أكثر تعقيداً؛ وتطلب الاعتراف بالدور الذي تؤديه المرأة في الحفاظ على التحيز الجنسي وإدامته. مع ابتعاد المزيد من النساء عن العلاقات المدمرة مع الرجال، كان من السهل رؤية الصورة كاملة. أصبح من الجليِّ أنه حتى لو تجرد الرجال الأفراد من الامتياز الأبوي، سيظل نظام الأبوِية والتمييز الجنسي وهيمنة الذكور كما هو، وستظل النساء مستغلات و/أو مضطهدات.

تقدِّمُ وسائل الإعلام المحافظة باستمرار النساء النسويات على أنهن كارهات للرجل. وعندما كان هناك فصيل أو عاطفة مناهضة للذكور في الحركة، فإنَّهم يسلطونَ الضوء عليها وسيلةً لتشويه سمعة النسوية. كان الافتراض القائل إن جميع النسويات سحاقيات جزءاً لا يتجزأ من تصوير النسويات على أنهن يكرهن الرجل. من خلال مناشدة رهاب المثلية الجنسية، كشفت وسائل الإعلام المشاعر المعادية للنسوية بين الرجال. قبل أن يكون عمر الحركة النسوية المعاصرة أقل من 10 سنوات، بدأ المفكرون النسويون يتحدثون عن الطريقة التي يضرُّ فيها النِّظام الأبوي بالرجل. دون تغيير نقدنا الشرس للسيطرة الذكورية، توسعت السياسات النسوية لتشمل الاعتراف بأن النظام الأبوي قد جرد الرجال من حقوقٍ معينة، ما جعلهم يفرضون عليهم هوية ذكورية متحيزة جنسياً.

كان للرجل المناهض للنسوية دائماً صوت عام قوي. سارع الرجال، الذين خافوا وكرهوا التفكير النسوي والناشطات النسويات، إلى حشد قواهم الجماعية ومهاجمة الحركة. ولكن منذ نشأةِ الحركة، كان هناك مجموعة صغيرة من الرجال، الذين أدركوا أن الحركة النسوية كانت صالحة بوصفها حركة للعدالة الاجتماعية مثلها مثل جميع الحركات الراديكالية الأخرى في تاريخ أمتنا التي دعمها الرجال. هؤلاء الرجال أصبحوا رفاقنا في كفاحنا وحلفائنا. غالباً ما كانت النساء المغايرات الفرديَّات والناشطات في الحركة في علاقات حميمة مع الرجال الذين كانوا يكافحون من أجل التصالح مع النسوية. غالباً ما كان تحولهم إلى التفكير النسوي مسألة نهوض لمواجهة التحدي أو المخاطرة بإنهاء الروابط الحميمة.

استاءت الفصائل المعادية للذكور داخل الحركة النسوية من وجود رجال مناهضين للتحيُّز الجنسي؛ لأن وجودهم أدى إلى مواجهة الإقرار القائل إنَّ جميع الرجال مضطهدون، أو إن كل الرجال يكرهون النساء. لقد عززت مصالح النساء النسويات، اللائي كن يسعين إلى قدر أكبر من الحراك الطبقي، الوصول إلى أشكال من السلطة الأبوية لاستقطاب الرجال والنساء من خلال وضعنا في فئات صغيرة مكوَّنةٍ من قامعٍ/ مُضطهد. لقد صوروا جميع الرجال على أنهم أعداء أمروا بتمثيل جميع النساء بوصفهن ضحايا. أدى هذا التركيز على الرجال إلى صرف الانتباه عن الامتياز الطبقي للناشطات النسويات، وكذلك رغبتهن في زيادة قوتهن الطبقية. هؤلاء الناشطات، اللاتي طالبنَ جميع النساء برفض الرجال، رفضنَ النظر إلى روابط الرعاية التي تتشاركها النساء مع الرجال، أو الروابط الاقتصادية والعاطفية (مهما كانت إيجابية أو سلبية) التي تربط النساء بالرجال المتحيزين جنسياً.

النسويات، اللاتي طالبن بالاعتراف بالرجال بوصفهم رفاقاً في النضال، لم يحظينَ بأيِّ اهتمام من وسائل الإعلام. عملنا النظري في نقد شيطنة الرجال كعدو لم يغيّر وجهات نظر النساء المعاديات للذكر. وكان رد الفعل على التمثيلات السلبية للرجولة هو الذي أدى إلى تطور حركة الرجال، التي كانت مناهضة للإناث. لفتت الكتابة عن «حركة تحرير الرجال» الانتباه إلى الانتهازية التي تقوم عليها هذه الحركة:

عرّف هؤلاء الرجال أنفسهم بأنهم ضحايا للتمييز على أساس الجنس، ويعملون على تحرير الرجال. حددوا الأدوار الجنسية الصارمة مصدراً أساسياً لإيذائهم، وعلى الرغم من أنهم أرادوا تغيير مفهوم الذكورة، لم يهتموا بشكل خاص باستغلالهم الجنسي واضطهاد النساء.

من نواحٍ عديدة، عكست حركة الرجال أكثر الجوانب سلبية للحركة النسائية.

على الرغم من أنّ الفصائل المعادية للذكور داخل الحركة النسوية كانت قليلة العدد، كان من الصعب تغيير صورة المرأة النسوية على أنّها كارهة للرجل في المخيلة العامة. بطبيعة الحال، من خلال توصيف النسوية على أنها ذكور يكرهون الرجل يمكن أن يصرف الانتباه بعيداً عن المساءلة عن سيطرة الذكور. لو كانت النظرية النسوية قد قدمت رؤى أكثر تحررية للذكورة، لكان من المستحيل على أيّ شخص أن يرفض الحركة باعتبارها مناهضة للذكور. فشلت الحركة النسوية، إلى حد كبير، في جذب مجموعة كبيرة من الإناث والذكور؛ لأن نظريتنا لم تعالج بشكل فعال قضية ليس فقط ما يمكن أن يفعله الذكور ليكونوا مناهضين للتمييز الجنسي، ولكن أيضاً كيف يمكن أن تبدو الرجولة البديلة. غالباً ما كان البديل الوحيد للذكورة الأبوية، الذي قدمته الحركة النسوية، أو حركة الرجال، رؤيةَ الرجال ليصبحوا أكثر «أنثوية». انبثقت فكرة الأنوثة من التفكير الجنسي، ولم تمثل بديلاً لها.

المطلوب هو رؤية للذكورة؛ حيث يشكل احترام الذات وحبّ الذات للكائن المفرد أساس الهوية. تهاجم ثقافات الهيمنة احترام الذات، وتستبدل بها فكرة أننا نستمدّ ماهيَّتنا من الهيمنة على الآخر.

تعلم الذكورة الأبوية الرجال أنَ إحساسهم بالذات والهوية، وسبب وجودهم، يكمن في قدرتهم على السيطرة على الآخرين. لتغيير هذه الفكرة، يجب على الذكور أن ينتقدوا ويتحدوا هيمنة الذكور على هذا الكوكب، والرجال الأقل قوة، والنساء والأطفال. لكن يجب أن يكون

لديهم أيضاً رؤية واضحة لما تبدو عليه الذُّكوريَّة النسوية. كيف يمكنك أن تصبح ما لا يمكنك تخيله؟ وهذه الرؤية لم يتم توضيحها بشكل كامل من قبل المفكرين النسويين ذكوراً أو إناثاً.

كما هو الحال في كثير من الأحيان في الحركات الثورية من أجل العدالة الاجتماعية، نحن أفضل في تسمية المشكلة من تصوُّر الحل. نحن نعلم أن الذكورة الأبوية تشجع الرجال على أن يكونوا نرجسيين، وطفوليين، ومعتمدين نفسياً على الامتيازات (مهما كانت نسبية)، التي يتلقونها لمجرد أنهم ولدوا ذكراً. يشعر العديد من الرجال أنّ حياتهم تتعرض للتهديد إذا تم انتزاع هذه الامتيازات؛ لأنهم لم يبنوا هوية أساسية ذات مغزى. هذا هو السبب في أن حركة الرجال حاولت، بشكل إيجابي، تعليم الرجال كيفية إعادة الاتصال بمشاعرهم، واستعادة الطِّفل الضائع في داخلهم وتغذية روحه ونموه الروحي.

لم تظهر مجموعة كبيرة من الأدبيات النسوية، التي تخاطب الأولاد، ما يتيح لهم معرفة كيف يمكنهم بناء هوية غير متجذرة في التحيز الجنسي. لم يقم الرجال المناهضون للتمييز الجنسي إلا بالقليل من التعليم للوعي النقدي الذي يتضمن التركيز على مرحلة الصبا، ولاسيما تنمية الذكور المراهقين. نتيجة لهذه الفجوة، بعد أن حظيت المناقشات حول تربية الأولاد باهتمام وطني، نادراً ما تكون وجهات النظر النسوية جزءاً من المناقشة. بشكل مأساوي، نشهد عودة ظهور الافتراضات المؤذية المعادية للمرأة بأنّ الأمهات لا يمكنهن تربية أبناء أصحاء، وأن الأولاد «يستفيدون» من المفاهيم العسكرية الأبوية للذكورة التي تؤكد الانضباط والطاعة للسلطة. يحتاج الأولاد إلى احترام الذات بشكل صحي. إنهم بحاجة إلى الحب. ويمكن للسياسة النسوية

الحكيمة والمحبة أن توفر الأساس الوحيد لإنقاذ حياة الأطفال الذكور. البطريركية لن تشفيهم. لو كان الأمر كذلك لكانوا جميعاً على ما يرام.

يشعر معظم الرجال في هذه الأمة بالقلق بشأن طبيعة هويتهم. على الرغم من أنهم يتشبثون بالسلطة الأبوية، بدؤوا يستشعرون أنها جزء من المشكلة. لقد جعل الافتقار إلى الوظائف، والطبيعة غير المجزية للعمل المأجور، وزيادة القوة الطبقية للمرأة، من الصعب على الرجال غير الأغنياء والأقوياء معرفة مكانهم. إن النظام الأبوي الرأسمالي العنصري الأبيض غير قادر على توفير كل ما وعد به. يشعر الكثير من الرجال بالكرب؛ لأنهم لا ينخرطون في الانتقادات التحررية، التي يمكن أن تمكنهم من مواجهة حقيقة أنّ هذه الوعود كانت متجذرة في الظلم والهيمنة، وحتى عندما يتمّ الوفاء بها، إنها لم تؤدِّ بالرجال إلى المجد أبداً.

إن الرؤية النسوية، التي تتبنى الذُّكوريَّة النسوية، والتي تحب الفتيان والرجال، وتطالب نيابة عنهم بكلّ حق نرغب فيه للفتيات والنساء، يمكن أن تجدد الذكر الأمريكي. يعلمنا التفكير النسوي جميعاً، على وجه الخصوص، كيف نحب العدالة والحرية بطرق تعزز الحياة وتؤكدها. من الواضح أننا بحاجة إلى استراتيجيات جديدة، ونظريات جديدة، وأدلة من شأنها أن توضح لنا كيفية إنشاء عالم تزدهر فيه الرجولة النسوية.

الأبويَة النِّسويَة

كان التركيز النسوي على الأطفال مكوناً مركزياً في الحركة النسوية الراديكالية المعاصرة. من خلال تربية الأطفال دون تمييز على أساس الجنس، كانت النساء تأمل خلقَ عالمٍ مستقبلي؛ حيث لن تكون هناك حاجة إلى حركة مناهضة للتحيز الجًنسي. في البداية، سلط التركيز على الأطفال الضوء في المقام الأول على الأدوار الجنسية والطريقة التي فُرضت على الأطفال منذ الولادة. غالباً ما كان الاهتمام النسوي بالأطفال يركز على الفتيات، وعلى مهاجمة التحيزات الجنسية، وتعزيز الصور البديلة. بين الحين والآخر، كانت النسويات يلفتنَ الانتباه إلى الحاجة إلى تربية الأولاد بطريقة مناهضة للتمييز بين الجنسين، لكن في الغالب كان انتقاد النظام الأبوي الذكوري، والإصرار على أن جميع الرجال يتمتعون به أفضل من جميع النساء، في انهيارٍ. دفعَ الافتراض بأن الأولاد يتمتعون دائماً بامتيازات وقوة أكبر من الفتيات النسويات إلى إعطاء الأولوية للتركيز على الفتيات.

كانت إحدى الصعوبات الأساسية، التي واجهها المفكرون النسويون عند مواجهة التمييز الجنسي داخل الأسرة، أنّ الأمهات، في كثير من الأحيان، كنَّ هنَّ من ينقلنَ التفكير الجنسي. حتى في المنازل التي لا يوجد فيها من يقدِّمُ رعايةً أبويَّةً، تقوم النساء بتعريفِ الأطفال على التفكير المتحيز جنسياً. ومن المفارقات أن العديد من الناس يفترضون أن أي أسرة تعولها امرأة هي نظام أمومي تلقائياً. في الواقع، غالباً ما تشعر النساء، اللائي يرأسن أسراً في المجتمع الأبوي،

بالذنب بشأن غياب شخصية ذكورية، ويتصرَّفنَ بيقظة شديدةٍ إزاء نقل القيم الجنسية للأطفال، ولاسيما الذكور. في الآونة الأخيرة، استجاب النقاد المحافظون السائدون إلى منابع أعمال العنف، التي يرتكبها الشباب من جميع الطبقات والأعراق، من خلال الإشارة إلى أن النساء غير المتزوجات لا يمكنهن تربية طفل ذكر سليم. هذا ببساطة غير صحيح. تُظهِر الحقائق أنّ بعض أكثر الرجال محبّة وقوة في مجتمعنا نشؤوا على يد أمهات عازبات. مرة أخرى، يجب إعادة تأكيد أن معظم الناس يفترضون أنّ المرأة، التي تربي الأطفال بمفردها، ولاسيما الأبناء، ستفشل في تعليم الطفل الذكر كيف يصبح رجلاً أبوياً. هذا ببساطة ليس القضيَّة.

داخل الثقافة الأبوية الرأسمالية المتعصبة للبيض، لا تتمتع الثقافات الأبوية بالسيطرة على الأطفال. كانت الحركة النسوية هي أول حركة من أجل العدالة الاجتماعية في هذا المجتمع تلفت الانتباه إلى حقيقة أن ثقافتنا لا تحب الأطفال، ولا تزال تنظر إلى الأطفال على أنهم ملك للوالدين للتعامل معهم كما يحلو لهم. عنف الكبار ضد الأطفال هو معيار في مجتمعنا.

بشكل إشكالي، لم يرغب المفكرون النسويون، في أغلب الأحيان، أبداً، في لفت الانتباه إلى حقيقة أن النساء غالباً ما يكنَّ الجاني الأساسي في العنف اليومي ضد الأطفال لمجرد كونهنّ مقدِّمات الرعاية الأساسيين للوالدين. في حين أنه كان أمراً حاسماً وثورياً أن الحركة النسوية لفتت الانتباه إلى حقيقة أن هيمنة الذكور في المنزل غالباً ما تؤدي إلى استبداد؛ حيث يعتدي الرجال جنسياً على الأطفال، فإن الحقيقة هي أن مجموعات الأطفال تتعرض للإيذاء اللفظي والجسدي

من قبل النساء والرجال. غالباً ما تقود سادية الأمهات النساء إلى إساءة معاملة الأطفال عاطفياً، ولم تقدم النظرية النسوية حتى الآن نقداً نسوياً وتدخلاً نسوياً عندما تكون القضية تتعلق بالعنف الأنثوي البالغ ضد الأطفال.

في ثقافة الهيمنة؛ حيث لا يتمتع الأطفال بحقوق مدنية، يمكن للأقوياء من الذكور والإناث ممارسة الحكم الاستبدادي على الأطفال. كل الحقائق الطبية تظهر أن الأطفال يتعرضون للإيذاء اليومي في هذا المجتمع. الكثير من هذه الإساءة يهدد الحياة. يموت الكثير من الأطفال. تديم النساء هذا العنف بقدر الرجال إن لم يكن أكثر. كانت الفجوة الخطيرة في التفكير والممارسة النسوية هي رفض الحركة مواجهة عنف الإناث البالغات ضد الأطفال. إن تأكيد هيمنة الذكور يجعل من السهل على النساء، بمن في ذلك المفكرات النسويات، تجاهل الطرق التي تسيء بها النساء إلى الأطفال؛ لأننا جميعاً نشأنا اجتماعياً لتبني التفكير الأبوي، لتبني أخلاقيات الهيمنة التي تقول إن الأقوياء لهم الحق في السيطرة على الضعفاء والمستضعفين. يمكن استخدام أيّ وسيلة لإخضاعهم. في التسلسل الهرمي للسلطة الأبوية الرأسمالية للتفوق الأبيض، يتم التغاضي عن هيمنة الذكور على الإناث، وكذلك هيمنة البالغين على الأطفال. ولا أحد يريد حقاً لفت الانتباه إلى الأمهات اللواتي يقمن بعمليَّة الاضطهاد.

غالباً ما أروي قصة وجودي في حفل عشاء فاخر؛ حيث تصف امرأة الطريقة التي تؤدّب بها ابنها الصغير بقرصه بشدة، والتضييق على جسده الصغير المدة التي يستغرقها الأمر للسيطرة عليه. وكيف صفق الجميع لاستعدادها لأن تكون منضبطة. شاركت في الوعي بأنّ سلوكها كان

مسيئاً، وأنها كانت تزرع بذور هذا الطفل الذكر لكي يكبر ويكون مسيئاً للمرأة. بشكل ملحوظ، أخبرت جمهور المستمعين أنه إذا سمعنا رجلاً يخبرنا كيف أنه يضغط على جسد المرأة، ويضغط عليها بشدة للتحكم في سلوكها، فسيتم الاعتراف على الفور بأنه شخص غير منضبطٍ. ورغم ذلك، عندما يتم إيذاء طفل، يتم التغاضي عن هذا الشكل من أشكال السيطرة السلبية. هذه ليست حادثة منعزلة؛ فالعنف الأشد بكثير ضد الأطفال يمارسه الآباء والأمهات يومياً.

في الواقع، إنَّ الأزمة، التي يواجهها أطفال هذه الأمة، هي أن التفكير الأبوي، الذي يتعارض مع التغييرات النسوية، يجعل الأسرة منطقة حرب أكثر مما كانت عليه عندما كانت هيمنة الذكور هي القاعدة في كل منزل. عملت الحركة النسوية كعامل مساعد؛ حيث كشفت المدى الخطير الذي بلغه الاعتداء الجنسي على الأطفال، وما يزال يحدث في الأسرة الأبوية. بدأ الأمر بنساء كبيرات في الحركة النسوية يتلقينَ رعاية علاجية، ويعترفن بأنهن ناجيات من سوء المعاملة، وإخراج هذا الاعتراف من المجال الخاص للعلاج في الخطاب العام. خلقت هذه الاكتشافات السياق الأخلاقي الإيجابي للأطفال لمواجهة الإساءة التي تحدث في الوقت الحاضر. ورغم ذلك، إن مجرد لفت الانتباه إلى الاعتداء الجنسي على الأطفال من الذكور لم يخلق المناخ الذي تدرك فيه جماهير الناس أن هذا الانتهاك مرتبط بهيمنة الذكور، وأنه لن ينتهي إلا عندما يتم القضاء على النظام الأبوي. يحدث الاعتداء الجنسي على الأطفال في كثير من الأحيان، ويتم الإبلاغ عنه، في كثير من الأحيان، أكثر من حالات الاعتداء على الإناث، ولكن يجب أن يُنظر إلى الإكراه الجنسي للإناث على الأطفال على أنه فظيع مثل إساءة معاملة الذكور.

ويجب على الحركة النسوية أن تنتقد النساء اللاتي يتعرَّضن إلى معاملة قاسية مثلما ننتقد إساءة معاملة الذكور. خارج نطاق الاعتداء الجنسي، يتخذ العنف ضد الأطفال أشكالاً عديدة؛ الأشكال الأكثر شيوعاً هي أفعال الإساءة اللفظية والنفسية.

العار التعسفي يضع الأساس لأشكال أخرى من الإساءة. غالباً ما يتعرض الأطفال الذكور لسوء المعاملة، عندما لا يتوافق سلوكهم مع المفاهيم الجنسية للذكورة. غالباً ما يتعرضونَ للاضطهادِ من قبل البالغين المتحيزين جنسياً (لاسيما الأمهات) والأطفال الآخرين. عندما يجسد مقدمو الرعاية من الوالدين الذكور فكراً وسلوكاً مناهضاً للجنس، تتاح الفرصة للفتيان والفتيات لرؤية النسوية في العمل.

عندما يزود المفكرون والناشطون النسويون الأطفال بالميادين التعليمية؛ حيث لا تكون التحيزات ضد التحيز الجنسي هي المعايير المستخدمة للحكم على السلوك، يكون الأولاد والبنات قادرين على تنمية احترام الذات بشكل صحي.

كان أحد أكثر التدخلات الإيجابية، التي قامت بها الحركة النسوية نيابة عن الأطفال، خلقَ وعي ثقافي أكبر بضرورة مشاركة الرجال على قدم المساواة في الأبوة والأمومة، ليس لخلق المساواة بين الجنسين فقط، بل لبناء علاقات أفضل مع الأطفال. ستوثق الدراسات النسوية المستقبلية جميع الطرق التي تعزز بها تربية الذكور المناهضة للتحيز الجنسي حياة الأطفال. في الوقت نفسه، نحتاج إلى معرفة المزيد عن الأبوة النسوية بشكل عام، والطرق العملية التي يمكن للمرء من خلالها تربية طفل في بيئة مناهضة للتحيز الجنسي، والأهم من ذلك أننا بحاجة إلى معرفة المزيد عن النوع الذي أصبحَ عليه الأطفال في مثلِ هذه المنازل.

لم ينكر الناشطون النسويون الحالمون أهمية وقيمة مقدمي الرعاية من الوالدين الذكور حتى ونحن نعمل باستمرار لخلق تقدير ثقافي أكبر للأمومة والعمل الذي تقوم به الأم. يتم الإساءة إلى جميع الإناث عندما يؤدي الثناء على مشاركة الذكور في الأبوة والأمومة إلى الاستخفاف والتقليل من قيمة الوظيفة الإيجابية للمرأة الأم. في بداية الحركة النسوية، كانت النسويات ينتقدن بشدة الأمومة، ووجّهن هذه المهمة ضد المهن التي عُدَّت أكثر تحرراً وتأكيداً للذات. ورغم ذلك، في وقت مبكر من منتصف الثمانينيات، كان بعض المفكرين النسويين يتحدّون التقليل النسوي لقيمة الأمومة والمبالغة في تقدير العمل خارج المنزل. كتبتُ عن هذا الموضوع في كتابي (النظرية النسوية: من الهامش إلى المركز)، وأوضحت النقطة الآتية:

إنَّ العمل في سياق اجتماعي؛ حيث لا يزال التحيز الجنسي هو القاعدة، وحيث توجد منافسة غير ضرورية تعزز الحسد وانعدام الثقة والعداء والحقد بين الأفراد، يجعل العمل مرهقاً ومحبطاً وغالباً ما يكون غير مرضٍ تماماً... يشعرون أن الأمر يستغرق الكثير من وقتهم، ما يترك مساحة صغيرة لملاحقات مرضية أخرى. في حين أن العمل قد يساعد النساء في الحصول على درجة من الاستقلال المالي، أو حتى الاكتفاء الذاتي المالي، إلا أنه بالنسبة إلى معظم النساء لم يلبِّ الاحتياجات البشرية بشكل كافٍ. ونتيجة لذلك، أدى بحث المرأة عن عملٍ في بيئة رعويَّةٍ إلى إعادة تأكيد أهمية الأسرة والجوانب الإيجابية للأمومة.

ومن المفارقات أنه عندما عمل المفكرون النسويون على إنشاء صورة أكثر توازناً عن الثقافة الأبوية السائدة للأمومة، أطلقوا نقداً شرساً للأسر التي تعولها امرأة بمفردها. كان هذا النقد أشد قسوة عندما يتعلق

الأمر بمسألة الرفاه. لقد تمَّ تجاهل جميع البيانات، التي تظهر مدى محبة الأمهات العازبات، والدخل الضئيل للغاية، سواء كنَّ يتلقين مساعدة الدولة أم يعملنَ مقابل أجر، فإن الانتقادات الأبوية تلفت الانتباه إلى الأسر المختلة التي ترأسها امرأة، وتتصرف كما لو كانت هذه هي القاعدة، ثم تقترح أن المشكلة يمكن حلها إذا كان الرجال في الصورة بوصفهم مقدِّمين أبويين وأرباب أسر.

لم تكن هناك ردَّة فعل عنيفة مناهضة للنسوية ضارَّة برفاهية الأطفال مثل الاستخفاف المجتمعي بالأمهات العازبات. في ثقافة تحترم الأسرة الأبوية ذات الوالدين أعلى من أيّ ترتيب آخر، يشعر جميع الأطفال بعدم الأمان عاطفياً عندما لا ترقى أسرهم إلى المستوى. تظل الرؤية اليوتوبية للأسرة الأبوية كما هي، على الرغم من كل الأدلة التي تثبت أن رفاهية الأطفال ليست مضمونة في الأسرة التي يعولها رجل مختلّ وظيفياً أكثر مما هي عليه في الأسرة التي تعولها امرأة. يحتاج الأطفال إلى أن يربوا في بيئات محبة. كلما كانت الهيمنة حاضرة ينقص الحب. الآباء المحبون، سواء كانوا عازبين أم مغايرين، مثليين أم مستقيمين، ترأسهم إناث أم ذكور، هم أكثر عرضة لتربية أطفال أصحاء وسعداء مع احترام الذات السليم. في الحركة النسوية المستقبلية، نحتاج إلى العمل بجدية أكبر لنبين للآباء الطرق التي من خلالها يغيّر إنهاء التحيز الجنسي حياة الأسرة بشكل إيجابي. الحركة النسوية مؤيدة للأسرة. إن إنهاء الهيمنة الأبوية على الأطفال، من قبل الرجال أو النساء، هو الطريقة الوحيدة لجعل الأسرة مكاناً يمكن أن يكون فيه الأطفال آمنين؛ حيث يمكنهم أن يكونوا أحراراً؛ وحيث يمكنهم معرفة الحب.

تحرير الزَّواج والأبوَّة

عندما كانت الحركة النسوية المعاصرة في ذروتها، تعرضت مؤسسة الزواج لانتقادات قاسية. كان دخول العديد من النساء المغايرات إلى الحركة مردّهُ هيمنة الذكور في العلاقات الحميمة، ولا سيما الزيجات طويلة الأمد؛ حيث كان عدم المساواة بين الجنسين هو القاعدة. منذ البداية، تحدت الحركة المعايير المزدوجة في العلاقة مع الحياة الجنسية، التي أدانت الإناث اللواتي لم يكنّ عذارى أو عشاقاً وزوجاتٍ مخلصاتٍ، مع إتاحة المجال للرجال للقيام بكل ما يريدون جنسياً، والتغاضي عن سلوكهم. عززت حركة التحرر الجنسي النقد النسوي للزواج، ولاسيما المطالبة بتحديد النسل الآمن والميسور التكلفة.

ركز الناشطون النسويون، في وقت مبكر، الكثير من الاهتمام على الروابط الخاصة والعلاقات الأسرية؛ لأنه في تلك الظروف شعرت النساء من جميع الطبقات والأعراق بوطأة هيمنة الذكور، سواء الآباء الأبويون أم الأزواج. قد تتحدى المرأة بحزم رئيساً متحيزاً جنسياً أو محاولة شخص غريب السيطرة عليها، ثم تعود إلى المنزل وتخضع لشريكها.

انتقد النسويون المعاصرون؛ كلٍّ من هؤلاء النساء المغايرات جنسياً، اللائي جئنَ من زيجات طويلة، وحلفاء من المثليات في النضال، الزواجَ باعتباره شكلاً آخر من أشكال العبودية الجنسية. لقد سلطنَ الضوء على الطريقة التقليدية، التي أدت بها الروابط الجنسية إلى الزَّواج؛ حيث تمت التضحية بعناصر الحميمية والرعاية والاحترام حتى يكون الرجال في القمة - يمكن أن يكونوا البطريركيينَ الذين يحكمون قفص الزَّوجيَّة.

في وقت مبكر، كان العديد من النساء النسويات متشائمات بشأن تغيير الرجال. قررت بعض النساء المغايرات أنهنّ سيخترنَ العزوبية أو العلاقات المثليَّة على السعي وراء علاقات غير متكافئة مع الرجال المتحيزين جنسياً. ورأت أخريات أن الزواج الأحادي الجنسي مع الرجال يعزّز فكرة أن جسد الأنثى ملك للرجل الذي كانت مرتبطة به. اخترنا العلاقات غير الأحادية وكثيراً ما رفضنا الزواج. كنا نعتقد أن العيش مع شريك ذكر دون زواج مصادق عليه من الدولة داخل المجتمع الأبوي يساعد الرجال في الحفاظ على احترام صحي لاستقلالية الإناث. دعت النسويات إلى المطالبة بإنهاء العبودية الجنسية، ولفت الانتباه إلى انتشار الاغتصاب الزوجي، ودافعنَ، في الوقت نفسه، عن حقوق المرأة في التعبير عن الرغبة الجنسية، والتفاعل الجنسي، والإشباع الجنسي.

كان هناك العديد من الرجال المغايرين جنسياً، الذين تبنوا التفكير النسوي على وجه التحديد؛ لأنهم لم يتم إشباعهم جنسياً في العلاقات مع الشريكات اللواتي لم يكنَّ مهتمَّات بالجنس؛ لأنهنَّ تعلمنَ أنَّ النساء الفاضلات لم يكنَّ ناشطات جنسياً. كان هؤلاء الرجال ممتنين للحركة النسوية لتقديمها نموذجاً جنسياً تحررياً للزميلات من الإناث؛ لأنه يضمن لهم حياة جنسية أكثر إشباعاً. من خلال تحدي الفكرة القائلة إن فضيلة المرأة قد تم تحديدها من خلال ممارستها الجنسية، إن المفكرات النسويات لم يزلنَ فقط وصمة العار المرتبطة بعدم كونهنَّ عذراوات؛ لقد وضعنَ الرفاه الجنسي للإناث على قدم المساواة مع الرجل. حثت الحركة النسوية النساء على عدم التظاهر بأنهنّ قد كنَّ مشبعات جنسياً وتزييف الواقع، وهددت بفضح أوجه القصور الجنسية لدى الذكور.

لنزع فتيل هذا التهديد، أصرّ الرجال المتحيزون جنسياً باستمرار على أن معظم النسويات هنّ من المثليات، أو أن كل ما تحتاج إليه أيّ امرأة نسوية هو «مضاجعة جيدة» لإعادتها إلى مكانها. في الواقع، كشف التمرد النسوي حقيقة أن العديد من النساء لم يكنّ يمارسن الجنس مع الرجال في العلاقات البطريركيَّة. في ما يتعلق بالروابط الحميمة، كان معظم الرجال أكثر استعداداً لتبني التغييرات النسوية في النشاط الجنسي الأنثوي، ما أدى إلى أن تكون النساء أكثر نشاطاً جنسياً من تلك التغييرات، التي تطلبت من الرجال تغييراً في سلوكهم الجنسي. كان غياب المداعبة الجنسية قضية نوقشت كثيراً عندما ركزت الأجندات النسوية لأول مرة على العلاقات الجنسية بين الجنسين. سئمت النساء المستقيمات من الإكراه الجنسي للذكور، وعدم الاهتمام بمتعة الإناث. أعطى التركيز النسوي على المتعة الجنسية المرأةَ لغةَ نقدِ وتحدي السلوك الجنسي الذكوري.

عندما يتعلق الأمر بالحرية الجنسية، خطت النساء خطوات كبيرة. لقد تم نسيان نقد الزواج الأحادي؛ لأن انتشار الأمراض، التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، زاد من صعوبة اختيار الإناث الاختلاط الجنسي. إن انتشار الأمراض، التي تهدد الحياة مثل الإيدز، والتي تميل إلى أن تنتقل بسهولة أكبر من الذكور إلى الإناث، في الثقافة الأبوية؛ حيث يتم تشجيع الرجال على الكذب على النساء، جعل من الصعب على النساء المغايرات اختيار مجموعة متنوعة من الشركاء. من الواضح أنه عندما يكون التركيز على الزواج الأحادي في الروابط بين الجنسين داخل النظام الأبوي، غالباً ما يكون من الصعب على الأزواج الانفصال عن النماذج المتحيزة جنسياً. بالتزامن مع النظام الأبوي، وجد العديد

من النساء النسويات أن العلاقات غير الأحادية غالباً ما تمنح الرجال مزيداً من القوة بينما تقوض حريّة النساء. في حين أن النساء سيخترنَ بحرية ممارسة الجنس مع رجل في شراكة مع امرأة أخرى، إن الرجال غالباً لا يظهرون أيّ اهتمام جنسي بامرأة شريكة. أو سيتنازلن باستمرار عن السلطة للرجل الذي تشارك المرأة معه، حتى لو ذهبن إلى حد السعي للحصول على موافقته على مشاركتهنّ. رغمَ هذه الصعوبات، ستستمر المرأة التي تتمتع بالحرية في أن تكون غير متزوجة من امرأة واحدة، سواء مارست هذه الحرية أم لا، في تعطيل وتحدي فكرة أنّ جسد الأنثى ملك للرجال. مثل كل التغييرات الإيجابية، التي أنتجها النقد النسوي للمفاهيم الجنسية للمتعة الجنسية، ساعدت في خلق عالم؛ حيث يمكن للنساء والرجال أن تكون لديهم علاقات جنسية مرضيَة أكثر.

في البداية، بدا أن التغييرات في طبيعة الروابط الجنسية ستؤدي إلى تغييرات أخرى في العلاقات الأسرية، وأن الرجال سيقومون أيضاً بنصيب متساوٍ من الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال. في الوقت الحاضر، يقرّ الكثير من الذكور بضرورة القيام بالأعمال المنزلية، سواء أكانوا يقومون بها بالفعل أم لا، ولا ترى الشابات أيّ حاجة إلى جعل مشاركة الأعمال المنزلية مشكلة؛ هم فقط يقبلون هذا كقاعدة. وبطبيعة الحال، إن الحقيقة هي أنه لم يصبح من المعتاد أن النساء، في أغلب الأحيان، ما زلنَ يقمنَ بمعظم الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال. بشكل عام، كان الرجال أكثر استعداداً لقبول وتأكيد المساواة في غرفة النوم بدلاً من قبول المساواة حول الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال. ليس من المستغرب، مع اكتساب النساء في القوة الطبقية، تعامل العديد من النساء مع عدم المساواة من خلال توظيف مقدّمي الرعاية للقيام

بالمهمات التي لا يريدون ولا الشركاء الذكور القيام بها. ورغم ذلك، عندما يدفع زوجان من جنسين مختلفين المساعدة للقيام بالمهمات التي يعرّفها التفكير الجنسي على أنها «أنثويَّة»، عادةً تكون المرأة هي التي توظف المساعدة، وتشرف على هذا العمل.

أكثر من أيّ عامل، أدى النقد النسوي للأمومة، باعتبارها الهدف الوحيد المُرضي لحياة المرأة، إلى تغيير طبيعة الزواج والشراكات طويلة الأمد. بمجرد ألا يتم تحديد قيمة المرأة من خلال ما إذا كانت قد ولدت وتربي الأطفال أو لا، كان من الممكن للزوجين، اللذين يعملان في وظيفتين، ويريدان أن يبقيا بلا أطفال، أن يتصورا زواج الأقران - علاقة بين أنداد. سهّل غياب الأطفال أن يكونوا أقراناً لمجرد أنّ الطريقة، التي يتولى بها المجتمع الأبوي تلقائياً مهمات معينة ستؤديها الأمهات دائماً، تجعل تقريباً من الصعب على النساء تحقيق المساواة بين الجنسين في ما يتعلق برعاية الأطفال. على سبيل المثال، من المثير للدهشة أنه في أعقاب الحركة النسوية، لم تتصرَّف المؤسسة الطبية الأبوية، التي قللت سابقاً من أهمية الرضاعة الطبيعية، بإيجابية معَ الرضاعة الطبيعية فقط، بل بدت مصرّة على تكريسها. هذا مجرد جانب واحد من جوانب تربية الأطفال، التي تلقي تلقائياً مزيداً من المسؤولية على الأنثى التي تلد سواء كانت سويَّة أم سحاقيَّة. من المؤكد أن العديد من النساء، اللواتي لهن علاقات مع الذكور، غالباً ما يجدن أن إنجاب طفل حديث الولادة قد أدى إلى تراجع علاقاتهنّ مرة أخرى إلى أدوار أكثر تحديداً على أساس التحيز الجنسي. ورغم ذلك، عندما يعمل الأزواج بجدّ للحفاظ على المساواة في جميع المجالات، ولاسيما رعاية الأطفال، يمكن أن يكون هذا هو الواقع؛ ورغم ذلك، إن القضية

الرئيسية هي العمل الجاد، ومعظم الرجال لم يختاروا العمل الجاد في رعاية الأطفال.

لفتت التدخلات النسوية الإيجابية الانتباه إلى قيمة وأهمية تربية الذكور في ما يتعلق برفاهية الأطفال، والمساواة بين الجنسين. عندما يشارك الذكور على قدم المساواة في الأبوة والأمومة، تكون العلاقات بين النساء والرجال أفضل، سواء كان الوالدان متزوجين أم يعيشان معاً أو منفصلين. بسبب الحركة النسوية، يقوم عدد أكبر من الرجال بالتربية الأبوية أكثر من أيّ وقت مضى، ورغم ذلك لم نحقق حتى مظهراً من مظاهر المساواة بين الجنسين. ونحن نعلم أن هذه المشاركة المتساوية تجعل الأبوة والأمومة تجربة أكثر إيجابية ومرضية لجميع الأطراف المعنية.

بطبيعة الحال، غالباً ما تخلق متطلبات العمل عقبات أمام المزيد من المشاركة في رعاية الأطفال من قبل الآباء العاملين، ولاسيما الرجال. حتى نرى تغييرات كبيرة في الطريقة التي يتمّ بها تنظيم العمل من حيث الوقت، لن نعيش في عالم حيث تم تصميم الحياة لمنح الوقت والمكان لممارسة مهمَّة الأبوَّة. في هذا العالم، قد يكون الرجال أكثر حرصاً على الوالدين. ولكن حتى ذلك الحين، سيقبل العديد من الرجال العاملين، الذين يعانون من إرهاق زائد، ويتقاضون رواتب منخفضة، عن طيب خاطر، امرأةً تقوم بكلّ رعاية الطفل، حتى لو كانت مرهقة للغاية، وتتقاضى رواتب منخفضة. لقد جعل عالم العمل داخل النظام الأبوي الرأسمالي العنصري الأبيض من الصعب على النساء أن ينجبنَ بشكل كامل. في الواقع، يقود هذا الواقع النساء اللواتي قد يخترن مهنة للبقاء في المنزل. فبدلاً من التفكير المتحيز جنسياً في أن تصبح سيطرة الذكور عاملاً يخرج النساء من قوة العمل، ويعيدهن إلى

المنزل، إنّ الخوف هو أننا نربي مجتمعاً من أطفال «بلا آباء». تجد العديد من النساء أنّ المهنة التنافسية لا تترك سوى القليل من الوقت لتنمية العلاقات المحبة. حقيقة أن لا أحد يتحدث عن ترك الرجال العملَ ليكونوا آباء متفرغين تظهر مدى انتشار التفكير الجنسي حول الأدوار. لا يزال معظم الناس في مجتمعنا يعتقدون أنّ المرأة أفضل في تربية الأطفال من الرجل.

إلى حدّ كبير، لم تكن النساء، اللاتي ينتقدنَ الأمومة من ناحية، ولكن من ناحية أخرى يتمتعن أيضاً بالوضع الخاص والامتيازات التي منحتها لهنّ، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالترابط بين الوالدين والطفل، على استعداد للتخلي عن مكانة الأبوة والأمومة. الرجال كما يأمل المفكرون النسويون. لم يكن المفكرون النسويون، الذين انتقدوا الحتمية البيولوجية في كل مجال مغاير متعلِّق بقضية الأمومة، في أغلبِ الأحيان قادرين على تبني فكرة أن الآَباء لا يقلون أهمية عن الأمهات، ويمكنهم أيضاً ممارسة دور الأبوَّة كما ينبغي. هذه التناقضات، إلى جانب هيمنة التفكير الجنسي، قوَّضت الطلب النسوي على المساواة بين الجنسين عندما يتعلق الأمر برعاية الأطفال.

في الوقت الحاضر، تواصل وسائل الإعلام مهاجمتنا باستمرار برسالة مفادها أن الزواج قد عاد. الزواج لم يخرج عن الموضة. في كثير من الأحيان، عندما يعلن الناس أنها تعود إلى الظهور، إن ما يقصدونه حقاً هو أن مفاهيم الزواج الأكثر تحديداً على أساس الجنس تعود إلى الظهور مرة أخرى. هذه الحقيقة مقلقة للحركة النسوية؛ لأن من الواضح اليوم تماماً، كما كان بالأمس، أن الزيجات المبنية على أساس جنسي من المرجح أن تكون مزعجة للغاية ونادراً ما تدوم.

تقليدياً، أصبحت الزيجات المتحيزة جنسياً رائجة أكثر فأكثر. وبينما يميلون إلى تربية بذور البؤس وعدم الرضا، التي كانت بمنزلة حافز للتمرد النسوي في العلاقات الأسرية، إنّ العامل الذي يخالف التقاليد هو أن هذه الروابط غالباً ما يتم قطعها بسرعة. الناس يتزوجون صغاراً، ويطلقون وهم صغار.

كانت هيمنة الذكور الأبوية في الزواج والشراكات هي القوة الأساسية، التي تسببت في حالات الانفصال والطلاق في مجتمعنا. تظهر جميع الدراسات الحديثة للزيجات الناجحة أن المساواة بين الجنسين تخلق سياقاً يُرجّح فيه تأكيد كل فرد من الزوجين. هذا التأكيد يخلق سعادة أكبر، فحتى لو لم يستمر الزواج إلى الأبد، تستمر صداقة الأقران، التي كانت أساس الرابطة. بشكل ملحوظ، في الحركة النسوية المستقبلية، سنقضي وقتاً أقل في نقد روابط الزواج الأبوي، ونبذل المزيد من الجهد لإظهار البدائل، وإظهار قيمة العلاقات بين الأقران، التي تقوم على مبادئ المساواة والاحترام والاعتقاد بأن الرضا المتبادل والنمو ضروريان للشراكات لتكون مرضية ودائمة.

السِّياسة الجنسيَّة النُّسويَّة

أخلاقيّات الحريّة المشتركة

قبل الحركة النسوية، قبل التحرر الجنسي، وجد معظم النساء أن من الصعب، إن لم يكن من المستحيل تماماً، تأكيد فاعلية جنسية صحية. لقد بيَّنَ التفكير الجنساني، الذي تم تلقينهُ للإناث منذ الولادة، أن مجال الرغبة الجنسية والمتعة الجنسية كان دائماً ذكوريًّا فقط، وأن الأنثى التي تتمتع بفضيلة قليلة أو معدومة هي التي تدعي الحاجة الجنسية أو الجوع الجنسي. تقسيم التفكير الجنسي إلى أدوار مريم العذراء أو عاهرات لم يكن له أساس لبناء ذاتٍ جنسانيَّةٍ صحيّة. من حسن الحظ، تحدت الحركة النسوية على الفور التَّصوُّرات الجنسيَّة النمطية. لقد ساعدنا هذا التحدّي في فترةٍ مهمَّةٍ من تاريخ أمتنا؛ إذ أصبح تحديد النسل الذي يمكن الاعتماد عليه متاحاً للجميع.

قبل تحديد النسل، الذي يمكن الاعتماد عليه، يمكن أن يؤدي التأكيد الذاتي الجنسي للإناث دائماً إلى «معاقبة» الحمل غير المقصود، ومخاطر الإجهاض غير القانوني. لم نجمع شهادات كافية للسماح للعالم بمعرفة الأمراض الجنسية والرعب، الذي عانت منه النساء قبل وجود وسائل تحديد النسل، التي يمكن الاعتماد عليها. إنه يثير الخوف في داخلي لمجرد أن أتخيل عالماً تكون فيه أنثى في كلّ مرة تمارس فيها الجنس أمامَ خطر الحبل، لتتخيل عالماً يريد الرجال فيه الجنس، وتخافه النساء. في مثل هذا العالم، قد تجد المرأة الراغبة تقاطعاً بين رغبتها وخوفها. لم نجمع ما يكفي من الشهادات التي تخبرنا بما فعلته النساء لدرء التقدّم الجنسي للذكور، وكيف تعاملنَ

مع الاغتصاب الزوجي المستمر، وكيف تعاملنَ مع المخاطرة بالموت للتعامل مع حالات الحمل غير المقصود. نحن نعلم أن عالم الجنس الأنثوي قد تغير إلى الأبد بقدوم الثورة الجنسية النسوية.

في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، غالباً ما تم تشجيع الإناث على جعل الحرية الجنسية مرادفة للاختلاط الجنسي. في تلك الأيام، وإلى حد ما في الحاضر، كان معظم الرجال المغايرين جنسياً يرون أن الأنثى المتحررة جنسياً هي التي ستكون أو ستمارس الجنس مع أقلّ قدر من الجلبة؛ أي تأكيد عدم وجود المطالب، ولاسيما الطلبات العاطفية. وكان لدى عدد كبير من النسويات المغايرات المفاهيم المضللة نفسها؛ لأنهن كنَّ يصغنَ سلوكهن وفقاً للنموذج الذي قدمه الذكور البطريركيون. ورغم ذلك، لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن تدرك النساء أنّ الاختلاط الجنسي والتحرر الجنسي ليسا شيئاً واحداً.

لا عجب، إذاً، في أن التناقضات والصراعات، التي نشأت نتيجة للتوترات بين المتعة الجنسية والخطر الجنسي، والحرية الجنسية والعبودية، قد قدَّمت أرضية إثبات مغرية للساديَّة المازوشية الجنسية (sadomasochism). في نهاية المطاف، ارتبطت جميع الاستجوابات النسوية للجنس بمسألة السلطة. بغض النظر عن مقدار حديث المفكرين النسويين عن المساواة، عندما يتعلق الأمر بالرغبة الجنسية وتفعيل العاطفة الجنسية، إن ديناميكيات القوة والعجز، التي تثيرها الساحة الجنسية، قد عطلت المفاهيم التبسيطية للاضطهاد والمضطهد. لا شيء يتحدى أسس النقد النسوي لممارسة الجنس الآخر أكثر من الكشف عن أن مثليات النسويات يشاركنَ في السادية

المازوشية الجنسية، عالم من القمة والقاع؛ حيث تُعدُّ مواقف القوة والعجز مقبولة.

توقفت جميع المناقشات النسوية الراديكالية حول النشاط الجنسي عندما بدأت النساء داخل الحركة القتالَ حول مسألة ما إذا كان يمكن للمرء أن يكون امرأة متحرّرة أو لا، سواء كانت مثلية أم مغايرةً، والانخراط في ممارسة السادية المازوشية الجنسية. ارتبطت هذه القضية بخلافات في الرأي حول معنى وأهمية المواد الإباحية الأبوية. في مواجهة قضايا قوية بما يكفي لتقسيم الحركة وتعطيلها، بحلول أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، لم تعد الحوارات النسوية الأكثر تطرفاً حول الجنس علنيةً، بل حدثت بشكل خاص. لقد دمَّر الحديث العلني عن الجنس الحركة.

يُعدُّ الاحترام المتبادل جوهرياً أمراً ضرورياً للممارسة الجنسية التحررية والاقتناع بأن المتعة والرضا الجنسي يتم تحقيقهما، على أفضل وجه، في ظروف الاختيار والاتفاق التوافقي. في المجتمع الأبوي، لا يستطيع الرجال والنساء معرفة النعيم المستمر للجنس الآخر ما لم يتخلَّ الطرفان عن تفكيرهما الجنسي. لا يزال العديد من النساء والرجال يرون أن الأداء الجنسي للذكور يتحدد فقط من خلال ما إذا كان القضيب منتصباً أو لا، ويتم الحفاظ على الانتصاب. ترتبط فكرة الأداء الذكوري هذه بالتفكير الجنسي. بينما يجب على الرجال التخلي عن الافتراض الجنسي بأن النشاط الجنسي الأنثوي موجود لخدمة احتياجاتهم وتلبية احتياجاتهم، يجب على العديد من النساء أيضاً التخلي عن التركيز على مسألةِ الإيلاج.

خلال ذروة التحرر الجنسي والحركة النسوية المعاصرة، وجدت النساء أن الرجال غالباً ما كانوا على استعداد لقبول المساواة في كل مجال باستثناء الحياة الجنسية. يريد العديد من الرجال في غرفة النوم امرأة ترغب في ممارسة الجنس، وتتوق إلى منح ومشاركة المتعة، لكنهم في النهاية لم يتخلَّوا عن الافتراض الجنسي بأنَّ أداءها الجنسي (أي ما إذا كانت تريد أن تكون لها رغبة جنسيَّة أم لا) يجب أن تحدده رغبتهم. بينما كان من الممتع القيام بذلك مع إناث متحمسات ومتحررات، لم يكن الأمر ممتعاً عندما أعلنت هؤلاء الإناث عن رغبتهن في مساحة غير جنسية. في كثير من الأحيان، عندما يحدث ذلك، أوضح الرجال السّويين أنهم في حاجةٍ إلى الذهاب إلى مكان آخر لإفراغِ رغبتهم الجنسيَّة، وهو إجراء عزز حقيقة الولاء المستمر لنموذج المَلكية المتحيز جنسياً في جسد الأنثى إضافة إلى فكرة أنَّ كلَّ أنثى، مهما كانت، وسيلة للإشباعِ الجنسي، فجسدها هو المهمُّ في هذه الحالة. في العلاقات التحررية بيَن الجنسين أو العلاقات الجنسية المثلية، يجب أن يكون كلا الطرفين حراً في تحديد متى وكم مرة يريد ممارسة الجنس دون خوف من العقاب.

حتى يتوقف جميع الرجال عن الاعتقاد بأن هناك حاجة إلى شخص آخر غيرهم للاستجابة لاحتياجاتهم الجنسية، ستستمرُّ التبعية الجنسية للشركاء.

ستجعلُ السياسة الجنسية النسوية التحررية دائماً تأكيد الوكالة الجنسية الأنثوية نقطةً مركزيَّةً. لا يمكن لهذه الوكالة أن تظهر إلى الوجود عندما تعتقد الإناث أنّ أجسادهن الجنسية يجب أن تقف دائماً في خدمة شيء آخر. غالباً ما تؤيد البغايا المحترفات والنساء في الحياة

اليومية التبادل الحرّ للكس مقابل سلع أو خدمات كمؤشر على تحررهن. إنهم يرفضون الاعتراف بحقيقة أنه عندما تقوم امرأة ببغاء جسدها؛ لأنها لا تستطيع تلبية الاحتياجات المادية بطرق أخرى، تخاطر بفقدان تلك المساحة من السلامة الجنسية حيث تتحكم في جسدها.

أن تحب مرَّة أخرى

قلب النِّسويَّة

إذا أراد الرجال والنساء معرفة الحب، فعلينا أن نتوق إلى النسوية؛ لأننا من دون التفكير والممارسة النسوية نفتقر إلى الأساس لخلق روابط محبة. في البداية، أدت خيبة الأمل العميقة من العلاقات بين الجنسين إلى تحرر العديد من النساء. شعر العديد من هؤلاء النساء بالخيانة بسبب الوعد بالحب والعيش في سعادة دائمة عندما تزوَّجنَ برجال حوَّلوا أنفسهم بسرعة من أمراء ساحرين إلى أسياد أبويينَ متسلِّطين. جلبت هؤلاء النساء من جنسين مختلفين إلى الحركة مراراتهنَّ وغضبهنَّ. لقد انضممنَ إلى حزنهنَّ مع النساء السحاقيات اللاتي شعرن أيضاً بالخيانة في روابط رومانسية قائمة على القيم الأبوية.

نتيجة لذلك، عندما يتعلق الأمر بمسألة الحب، كانت النسوية تأخذ في بداية الحركة فكرةَ أن حرية المرأة لا يمكن أن تحدث إلا إذا تخلت المرأة عن ارتباطها بالحب الرومانسي.

إنَّ توقنا إلى الحب، كما قيل لنا في مجموعات رفع الوعي لدينا، هو الفخ المغري الذي جعلنا نقع في حب العشاق البطريركيين، ذكوراً كانوا أم إناثاً، الذين استخدموا هذا الحب لإخضاعنا والسَّيطرة علينا. انضممت إلى الحركة النسوية قبل أن أحصل على أول تجربة جنسية لي مع رجل، أذهلتني الكراهية الشديدة والغضب تجاه الرجال، اللذين عبرت عنهما النساء. ورغم ذلك فهمت أساس الغضب. كان تحولي إلى التفكير النسوي في سنوات مراهقتي استجابة مباشرة لهيمنة والدي على كلِّ فرد في منزلنا. رجل عسكري، رياضي، شماس كنيسة، زير نساء،

كان تجسيداً للحكم الأبوي. شاهدتُ ألم والدتي وتمردتُ. لم تعبّر ماما أبداً عن غضبها من الظلم الجنسي، بغض النظر عن مدى الإذلال الشديد أو العنف الذي يمارسه أبي عليها.

في وقت مبكر، لم يكن النقد النسوي للحب معقداً بدرجة كافية. بدلاً من تحدي الافتراضات البطريركية الخاطئة عن الحب على وجه التحديد، قدمت الحب على أنه المشكلة. كان علينا أن نتخلصٍ من الحب ونضع مكانه الاهتمام باكتساب الحقوق والسلطة. وبدلاً من إعادة التفكير في الحب والإصرار على أهميته وقيمته، توقف الخطاب النسوي عن الحب ببساطة. كان على النساء، اللواتي يرغبن في الحب، ولاسيما الحب مع الرجال، أن يأخذن مكاناً آخر لفهم كيف يمكن أن يجدن الحب. ابتعد العديد من هؤلاء النساء عن السياسة النسوية؛ لأنهن شعرن أنها تنكر أهمية الحب والعلاقات الأسرية والحياة التي تعاشُ في مجتمع متنوًّعٍ.

كان المفكرون النسويون ذوو البصيرة غيرَ مؤكَّدٍ لهم أيضاً ما يجب أن يقولوه للنساء عن الحب. كتبتُ في (النظرية النسوية: من الهامش إلى المركز) عن حاجة القادة النسويين إلى إضفاء روح المحبة على النشاط النسوي: «يجب أن يكون لديهم القدرة على إظهار الحب والرحمة، وإظهار هذا الحب من خلال أفعالهم، والقدرة على الانخراط في حوار ناجح». بينما كنت أشارك في اعتقادي بأن «الحب يعمل على تغيير الهيمنة» في ذلك الوقت، لم أكتب بعمق عن أهمية إنشاء نظرية نسوية تقدم للجميع رؤية حبٍ تحررية.

عند العودة إلى الوراء، من الواضح أننا، من خلال عدم خلق خطاب نسوي إيجابي عن الحب، في ما يتعلق بالجنس الآخر خاصةً، سمحنا لوسائل الإعلام الأبوية بتمثيل الحركة بأكملها كسياسة ترتكز على الكراهية بدلاً من الحب. شعر العديد من النساء، اللاتي يرغبن في الارتباط بالرجال، أنهن لا يستطعن رعاية هذه الروابط والالتزام بالحركة النسوية. في الواقع، كان يجب أن ننشر كلمة مفادها أنّ النسوية ستجعل من الممكن للنساء والرجال معرفة الحب. نحن نعلم ذلك الآن.

النسوية الرؤيويَّة هي سياسة حكيمة ومحبة. روح سياستنا هي الالتزام بإنهاء الهيمنة. لا يمكن للحب أن يتجذر أبداً في علاقة تقوم على الهيمنة والإكراه. لم يكن النقد النسوي الراديكالي للمفاهيم الأبوية عن الحب مضللاً. ورغم ذلك، احتاج الإناث والذكور إلى أكثر من مجرد نقد للمكان الذي أخطأنا فيه في رحلاتنا إلى الحب؛ كنا بحاجة إلى رؤية نسوية بديلة. بينما كان الكثير منا يحب في حياتنا الخاصة، وهو حب متجذر في الممارسة النسوية، لم نكن نخلق حواراً نسوياً واسع النطاق حول الحب، حواراً من شأنه مواجهة التركيز على تلك الفصائل داخل النسوية التي كانت مناهضة للحب.

لا يزال نبض قلب رؤيتنا البديلة حقيقة أساسية وضرورية: لا يمكن أن يكون هناك حب عندما تكون هناك سيطرة. يؤكد التفكير والممارسة النسوية على قيمة النمو المتبادل وتحقيق الذات في الشراكات وفي الأبوة والأمومة.

عندما نقبل أن الحب الحقيقي متجذر في الاعتراف والقبول، وأن الحب يجمع بين الاعتراف والرعاية والمسؤولية والالتزام والمعرفة، نفهم أنه لا يمكن أن يكون هناك حب من دون عدالة. مع هذا الإدراك يأتي فهم أن الحب لديه القدرة على تغييرنا، ما يمنحنا القوة لمعارضة الهيمنة. اختيار السياسة النسوية، إذاً، هو اختيار للحب.

الرُّوحانيَّة النِّسويَّة

كانت النسوية ولا تزال حركة مقاومة تثمن الممارسة الروحية. قبل أن تكون لديّ نظرية ومُمارسة نسوية لجذبي بالكامل إلى الوعي بضرورة حب الذات وقبول الذات بوصفهما ضرورة لتحقيق الذات، سرتُ في مسارٍ روحيٍ أكد تلك الرسائل نفسها.

على الرغم من التحيز الجنسي للأديان، التي يهيمن عليها الذكور، وجدت الإناث في الممارسة الروحية مكاناً للعزاء والملاذ. طوال تاريخ الكنيسة في الحياة الغربية، اتجهت النساء إلى التقاليد الرهبانية لإيجاد مكان لأنفسهن يمكن أن يكنّ فيهن مع الله دون تدخل الرجال؛ حيث يمكن أن يخدمنَ الإله دون سيطرة الذكور. ببصيرة روحية شديدة ووضوح إلهي، كتب جوليان نورويتش الصوفي، قبل وقت طويل من ظهور النسوية المعاصرة: «مخلصنا هو أمّنا الحقيقية التي ولدنا فيها إلى ما لا نهاية ولن نخرج منها أبداً». تجرؤاً على مواجهة فكرة منقذنا كما هو الحال دائماً، وكان جوليان نورويتش الذكر الوحيد الذي كان يرسم رحلة العودة إلى المؤنث المقدس، ما يساعد على تحرير النساء من عبودية الدين البطريركي.

أطلقت الحركة النسوية، في وقت مبكر، نقداً للدين الأبوي كان له تأثير عميق؛ حيث غيّر طبيعة العبادة الدينية في جميع أنحاء أمتنا. كان الكشف عن الطريقة الثنائية الميتافيزيقية الغربية (الافتراض القائل إن العالم يمكن فهمه دائماً من خلال التصنيفات الثنائية، وإن هناك مرتبة أدنى ومتفوقة، وجيداً وسيئاً) هو الأساس الأيديولوجي لجميع أشكال

الاضطهاد الجماعي، والتمييز على أساس الجنس، والعنصرية... إلخ، وإن مثل هذا التفكير شكل أساس أنظمة الإيمان اليهودي المسيحي. لتغيير طريقة عبادتنا، كان من الضروري إعادة تصورنا للروحانيات.

تزامنت الانتقادات النسوية للدين الأبوي مع تحول ثقافي شامل نحو روحانية العصر الجديد. في العصر الجديد، كان الممارسون الروحيون يبتعدون عن الفكر المسيحي الأصولي، الذي سيطر لقرون على النفس الغربية، ويتطلعون إلى الشرق بحثاً عن إجابات للتقاليد الروحية المختلفة. حلت روحانية الخليقة محل الروحانية الأبوية المتجذرة في مفاهيم السقوط والفداء. في الهندوسية والبوذية وفودون والتقاليد الروحية المتنوعة، وجدت النساء صوراً لآلهة أنثوية سمحت بالعودة إلى رؤية روحانية تتمحور حول الآلهة.

نشأت النزاعات في وقت مبكر في الحركة النسوية رداً على هؤلاء الناشطين الأفراد، الذين شعروا أن الحركة يجب أن تلتزم بالسياسة، وألا تتخذ أي موقف من الدين. كان عدد كبير من النساء، اللواتي جئن إلى النسوية الراديكالية من السياسة الاشتراكية التقليدية، ملحدات. لقد رأينَ الجهود المبذولة للعودة إلى رؤية الأنوثة المقدسة على أنها غير سياسية وعاطفية. لم يدم هذا الانقسام داخل الحركة طويلاً؛ حيث بدأ المزيد من النساء في رؤية الرابط بين تحدي الدين الأبوي والروحانية التحررية. الأغلبية العظمى من المواطنين في الولايات المتحدة يعرّفون أنفسهم على أنهم مسيحيون. أكثر من العقيدة الدينية الأخرى، إن العقيدة المسيحية، التي تتغاضى عن التحيز الجنسي وهيمنة الذكور، تُعلم جميع الطرق التي نتعلم بها عن أدوار الجنسين في هذا المجتمع.

حقاً، لا يمكن أن يكون هناك تحول نسوي لثقافتنا دون تغيير في معتقداتنا الدينية.

ساعد اختيار مسارات روحية بديلة العديد من النساء على الحفاظ على التزامهنّ بالحياة الروحية حتى مع استمرارهنّ في تحدي واستجواب الدين الأبوي. تم تغيير الكنيسة الأبوية المؤسسية أو المعبد من خلال التدخلات النسوية. ولكن، في السنوات الأخيرة، بدأت الكنيسة التخلي عن الخطوات المتخذة في اتجاه المساواة بين الجنسين. إن صعود الأصولية الدينية يهدد الروحانية التقدمية. لا تشجع الأصولية الناس على الاعتقاد بأن عدم المساواة أمر «طبيعي» فحسب، بل إنها تديم فكرة أن السيطرة على جسد الأنثى أمر ضروري. ومن هنا جاء اعتداؤها على الحقوق الإنجابية. في الوقت نفسه، تفرض الأصولية الدينية على الإناث والذكور مفاهيم قمعية عن الجنس تثبت الإكراه الجنسي في العديد من الأشكال المختلفة. من الواضح أنه لا تزال هناك حاجة للناشطات النسويات إلى تسليط الضوء على الدين المنظم، والانخراط في النقد والمقاومة المستمرة.

في حين أن عالماً من التقاليد الروحية الرائعة المؤكدة للنسوية منتشرٌ الآن، إن جماهير الناس لا يمكنها الوصول إلى المعرفة حول هذه الممارسات. غالباً ما يشعرون أن الدين الأبوي هو المكان الوحيد الذي يهتم فيه أي شخص برفاهه الروحي. نجح الدين الأبوي في استخدام وسائل الإعلام، ولاسيما التلفزيون، لنشر رسالته. يجب أن تفعل المسارات الروحية البديلة الشيء نفسه إذا أردنا مواجهة الفكرة القائلة إن الدين الأبوي هو السبيل الوحيد. خلقت الروحانية النسوية مساحة للجميع لاستجواب أنظمة المعتقدات البالية، وخلقت مسارات

جديدة. لقد ساعدنا تمثيل الله بطرق متنوعة، واستعادة احترامنا للمرأة المقدسة، على إيجاد طرق لتأكيد و/أو إعادة تأكيد أهمية الحياة الروحية. إن تحديد التحرر من أيّ شكل من أشكال الهيمنة والقمع على أنه مسعى روحي في الأساس يعيدنا إلى روحانية توحد الممارسة الروحية مع نضالنا من أجل العدالة والتحرر. إن الرؤية النسوية للإنجاز الروحي هي، بطبيعة الحال، أساس الحياة الروحية الأصيلة.

النِّسويّة الرُّؤيويّة

لكي نكون رؤيويين حقاً، يتعين علينا تجذير خيالنا في واقعنا الملموس بينما نتخيل، في الوقت نفسه، إمكانيات تتجاوز هذا الواقع. كانت القوة الأساسية للنسوية المعاصرة هي الطريقة التي غيرت بها شكلها واتجاهها. تميل الحركات من أجل العدالة الاجتماعية، التي تتمسك بأساليب التفكير والعمل التي عفا عليها الزمن، إلى الفشل. تمتد جذور النسوية الحكيمة إلى أوائل الستينيات. في بداية حركة تحرير المرأة، كان المفكرون أصحاب الرؤى حاضرين يحلمون بالراديكالية! الحركة السياسية الثورية، التي من شأنها في مرحلتها الإصلاحية أن تمنح المرأة حقوقاً مدنية داخل النظام الأبوي الرأسمالي والتفوق الأبيض القائم، بينما تعمل في الوقت نفسه على تقويض هذا النظام والإطاحة به. كان الحلم استبدال ثقافة الهيمنة بعالم اقتصاديات تشاركية ترتكز على الطائفية والديمقراطية الاجتماعية، عالم خالٍ من التمييز على أساس العرق أو الجنس، عالم يكون فيه الاعتراف بالتبادلية والاعتماد المتبادل هو الروح السائدة، رؤية بيئية عالمية حول كيفية بقاء الكوكب، وكيف يمكن للجميع الوصول إلى السلام والحياة الكريمة.

أصبحت الرؤى النسوية الثورية الرَّاديكاليَّة أكثر وضوحاً وتعقيداً مع تقدم الحركة. ورغم ذلك، غالباً ما كانَ يحجبها استبداد النسويات الإصلاحيات اللائي شعرن حقاً بالأمان للعمل من أجل التغيير فقط داخل النظام الاجتماعي القائم. في حين أن بعض الناشطات النسويات الإصلاحيات كن متحمسات حقاً لتغيير التمييز الاقتصادي على أساس

الجنس، حتى يتمكنَّ من المساواة مع الرجال من الطبقات المتميزة، واعتقد البعض الآخر أن الحركة ستحدث تغييراً ملموساً أكثر في حياة النساء إذا كانت الطاقة مركزة في اتجاه الإصلاح. ورغم ذلك، إن التخلي في نهاية المطاف عن نبض القلب الراديكالي للنضال النسوي جعل الحركة أكثر عرضة للاستحواذ من قبل النظام الأبوي الرأسمالي السائد.

بعد أن أغرتهنَّ السُّلطة الطبقية و/أو الحراك الطبقي الأكبر بمجرد قيامهن بخطوات واسعة في النظام الاجتماعي القائم، كان عدد أقل من النساء مهتماً بالعمل على تفكيك هذا النظام. من ناحية، بينما يتم إخبارنا مراراً وتكراراً من قبل المفكرين النسويين الفرديين، مثل كارول جيليجان وآخرين، أن النساء أكثر رعاية، وأكثر أخلاقية، إن الحقائق المتعلقة بكيفية تصرف النساء في ما يتعلق بالنساء الأقل قوة تشير إلى خلاف ذلك. تتمظهرُ أخلاقيات رعاية المرأة في المجموعات الإثنية أو العرقية، التي تتعرف عليها، ولا تمتد لتشمل أولئك الذين لا يشعرون بالتعاطف أو الهوية أو التضامن معهم. استثمرت النساء المتميزات (معظمهن من البيض، ولكن ليس كلهن) بسرعة في التبعية المستمرة للطبقة العاملة والنساء الفقيرات.

كان الهدف الأساسي للنسوية الرؤيوية وضعَ استراتيجيات لتغيير الكثير من النساء وتعزيز قوتهن الشخصية. للقيام بذلك، احتاجت الحركة إلى تجاوز أجندات الحقوق المتساوية، والبدء بقضايا أساسية مثل حملات محو الأمية، التي من شأنها أن تشمل جميع النساء، ولاسيما النساء من الفئات الفقيرة. لا توجد مدرسة نسوية ولا كلية نسوية. ولم يكن هناك جهد مستمر لإنشاء هذه المؤسسات. اكتسبت النساء البيض المتعلمات، باعتبارهن المستفيدات الأساسيات من برامج العمل

الإيجابي القائمة على الوظائف، فوائد في الهياكل القائمة، وغالباً ما لم يكن لديهنّ الدافع للقيام بإنشاء مؤسسات قائمة على المبادئ النسوية. لا يمكن لهذه المؤسسات أن تدفع رواتب عالية. لكن حتى الناشطات النسويات الثَّريَّات بشكل مستقل لم يستخدمنَ أموالهنَّ لتمويل البرامج التعليمية التي تبدأ في العمل مع النساء والفتيات المحرومات عندما يتعلق الأمر بالمهارات الأساسية.

لقد أدرك المفكرون النسويون الذين يحملونَ رؤيةً، حاجتنا إلى حركة نسوية ممتدَّة، حركة تلبي احتياجات الفتيات والفتيان والنساء والرجال، لكنَّنا لم ننتج مجموعة من النظريات النسوية ذات رؤية مكتوبة بلغة يمكن فهمها أو لغةً مشتركة تتأسَّسُ على التَّواصل الشفوي. اليوم، في الأوساط الأكاديمية، تتم كتابة الكثير من أكثر النظريات النسوية شهرة بلغة متطورة لا يستطيع قراءتها سوى المتعلمين. معظم الناس في مجتمعنا ليس لديهم فهم أساسي للنسوية؛ لا يمكنهم اكتساب هذا الفهم من ثروة من المواد المتنوعة، وكتيبات مستوى المدرسة الابتدائية، وما إلى ذلك؛ لأن هذه المواد غير موجودة. يجب أن نخلقها إذا أردنا إعادة بناء الحركة النسوية التي تناسب الجميع حقاً.

لم يقم المدافعون عن حقوق المرأة بتنظيم موارد ليتأكّد أنّ لدينا محطات تلفزيونية أو مواقع ثابتة على أي محطات موجودة. لا توجد ساعة إخبارية نسوية في أيّ برنامج تلفزيوني أو إذاعي. إحدى الصعوبات، التي واجهناها في نشر كلمة عن النسوية، أنَّ أي شيء له علاقة بالجنس الأنثوي يُنظر إليه على أنه يغطي الأرضية النسوية حتى لو لم يكن يحتوي على منظور نسوي. لدينا برامج إذاعية وعدد قليل من البرامج التلفزيونية، التي تسلط الضوء على قضايا النوع الاجتماعي، لكن ذلك

يختلف عن إبراز النسوية. من المفارقات أن أحد إنجازات الحركة النسائية المعاصرة أنَّ الجميع أكثر انفتاحاً لمناقشة النوع الاجتماعي واهتمامات المرأة، ولكن مرة أخرى، ليس بالضرورة من منظور نسوي. على سبيل المثال، خلقت الحركة النسوية ثورة ثقافية مكنت مجتمعنا من مواجهة مشكلة العنف الذكوري ضد النساء والأطفال.

رغم انتشار صور العنف الأسري في وسائل الإعلام والمناقشات على كل الجبهات، نادراً ما يربط الجمهور العام إنهاء العنف الذكوري بإنهاء هيمنة الذكور بالقضاء على النظام الأبوي. لا يزال معظم مواطني هذه الأمة لا يفهمون الصلة بين هيمنة الذكور وعنف الذكور في المنزل. وقد تم تأكيد هذا الفشل في الفهم؛ حيث إن أمتنا مدعوة للرد على جرائم القتل العنيف لأفراد الأسرة والأصدقاء وزملاء الدراسة من قبل الشباب الذكور من جميع الطبقات. يطرح الجميع في وسائل الإعلام التساؤل عن سبب حدوث هذا العنف دون ربطه بالتفكير الأبوي.

هناك حاجة إلى تعليم نسوي جماعي للوعي النقدي. لسوء الحظ، شكلت النخبوية الطبقية اتجاه الفكر النسوي. يقوم معظم المفكرين/ المنظرين النسويين بعملهم في بيئة النخبة في الجامعة. في أغلب الأحيان، لا نكتب كتباً للأطفال، أو ندرس في المدارس الابتدائية، أو نحافظ على جماعة ضغط قوية لها تأثير، بناء على ما يتم تدريسه في المدارس العامة. بدأتُ تأليف كتب للأطفال على وجه التحديد؛ لأنني أردت أن أكون جزءاً من حركة نسوية تجعل الفكر النسوي متاحاً للجميع. تساعد الكتب الموجودة على الشريط في توسيع الرسالة لتشمل الأفراد من جميع الأعمار الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

هناك حاجة إلى القيام بجهد جماعي من الباب إلى الباب لنشر رسالة النسوية؛ لكي تبدأ الحركة من جديد، لتبدأ مرة أخرى بالفرضية الأساسية التي مفادها أن السياسة النسوية هي بالضرورة راديكالية. ولمّا كان ما هو راديكالي غالباً ما يتمّ دفعه تحت الأرض في محيطنا، يجب علينا أن نفعل كل ما في وسعنا لإحضار النسوية فوق الأرض لنشر الكلمة؛ لأن الحركة النسائية هي حركة لإنهاء التحيز الجنسي والهيمنة والقمع الجنسي، وهو نضال يتضمن جهوداً لإنهاء التمييز بين الجنسين وخلق المساواة، فهي في الأساس حركة راديكالية.

ظهر الغموض حول هذه الراديكالية المتأصلة عندما ابتعد الناشطون النسويون عن تحدي التمييز الجنسي في جميع مظاهره، وركزوا فقط على الإصلاحات. لقد خدم الترويج لفكرة أنه يمكن أن يكون هناك العديد من «النسويات» المصالحَ السياسيةَ المحافظة والليبرالية للنساء الساعيات إلى الحصول على مكانة وسلطة الطبقة المتميزة، اللائي كن من بين المجموعة الأولى التي استخدمت مصطلح «نسويات القوى». لقد كانوا أيضاً المجموعة التي بدأت اقتراحَ أنه يمكن أن يكون المرء نسوياً، وأن يكون مناهضاً للإجهاض. هذه فكرة أخرى مضللة. إن منح المرأة الحق المدني في السيطرة على جسدها هو مبدأ نسوي أساسي. ما إذا كان ينبغي على أنثى فردية إجراء عملية إجهاض مسألةُ اختيارٍ بحت. ليس من المناهض للنسوية أن نختار عدم إجراء عمليات الإجهاض. لكن من المبادئ النسوية أن يكون للمرأة الحق في الاختيار. أدت العلاقات الطبقية الطفيلية والجشع للثروة والسلطة إلى خيانة النساء لمصالح النساء الفقيرات ونساء الطبقة العاملة. النساء اللواتي اعتنقن التفكير النسوي يدعمن الآن السياسات العامة المناهضة للرفاهية. إنهم

لا يرين أي تناقض في هذا الموقف. إنهم ببساطة يعطين «علامتهنَّ التجارية» الخاصة بالنسوية اسمها الخاص. إن تمثيل النسوية، بوصفها أسلوب حياة أو سلعة، يحجب تلقائياً أهمية السياسة النسوية. اليوم العديد من النساء يرغبنَ في الحقوق المدنية دون النسوية. إنهنَّ يردن أن يظل النظام الأبوي على حاله في المجال الخاص حتى عندما يرغبن في تحقيق المساواة في المجال العام. لكن المفكرين النسويين أصحاب البصيرة أدركوا، منذ بداية الحركة، أن التواطؤ مع النظام الأبوي، وحتى الدعم الأبوي لبعض جوانب الحركة النسوية (أي الطلب على عمل المرأة)، سيجعل النساء عرضة للخطر. لقد رأينا أن الحقوق المكتسبة دون تغيير جوهري في الأنظمة، التي تحكم حياتنا، يمكن أن تنتزع بسهولة. ونحن نشهد بالفعل هذا يحدث في مجال الحقوق الإنجابية، ولا سيما الإجهاض. لقد ثبت أن إعطاء الحقوق المدنية داخل النظام الأبوي أمر خطير؛ لأنه دفع النساء إلى الاعتقاد بأننا أفضل حالاً مما نحن عليه، وأن هياكل الهيمنة تتغير. في الواقع، يتم ترسيخ هذه الهياكل مع ابتعاد العديد من النساء عن النسوية.

كما أدت ردود الفعل الشديدة المناهضة للنسوية إلى تقويض الحركة النسوية، جزء كبير من رد الفعل العنيف هو تقريع وتحطيم النسوية من قبل النساء الانتهازيات والمحافظات. على سبيل المثال: كتاب حديث (ما لم تخبرنا به أمهاتنا: السعادة تقضي على المرأة العصرية) من تأليف دانييل كريتندون، يخبرنا نحن -النساء- أنه يجب علينا جميعاً البقاء في المنزل لممارسة دور الأم وإنجاب أطفال أصحاء، وأن علينا الاعتراف بالاختلافات الأساسية بين الذكور والإناث النفسية، وهذا قبل كل شيء هو الخطأ النسوي. يلقي منتقدو النسوية باللوم على الحركة

في كلِّ الاستياء الذي تواجهه المرأة العصرية. إنهم لا يتحدثون أبداً عن النظام الأبوي أو الهيمنة الذكورية أو العنصرية أو الاستغلال الطبقي. وبينما تميل الكتب المناهضة للنسوية إلى أن تكون مكتوبة بلغة يسهل الوصول إليها وتروق لجمهور واسع من القراء، لا توجد إلى اليوم، أيُّ نظرية نسوية معروفة، تعمل كنقيضٍ لأطروحاتهم.



B E L L   H O O K S

جدل

telegram
@soramnqraa

بيل هوكس

نسويّة للجميع

السياسات العاطفية

عندما أسأل تلكَ الفئة من النَّاس عن الكتب أو المجلات النسوية التي يقرؤونها، وحينَ أستفسرهم عن الأحاديث النِّسوية التي سمعوها، وعن الناشطات النسويات اللاتي يعرفونهنّ يجيبونني بأنَّ كلّ ما سمعوهُ عن الحركة النِّسويَّة ليسَ إلّا أمرًا مستهلكاً، وأنَّهم لم يقتربوا البتَّةَ من الحركة النِّسويَّة، ولا يعرفونَ ما يحدث في الواقع. غالبًا ما يعتقدون أن الحركة النسوية هي مجموعة من النساء الغاضبات اللواتي يردن التَّشبُّهَ بالرجال. إنهم لا يفكرون في الحركة النسوية على أنَّها حركةٌ حقوقيَّةٌ تسعى إلى حصول المرأة على حقوق متساوية مع الرِّجال.
عندما أتحدث عن النسوية كما أعرفُها -عن قرب وانطلاقاً من تجربةٍ شخصيَّةٍ- يستمعون إليّ عن طيب خاطر، رغمَ أنَّهم بمجرَّدِ أن تنتهي محادثاتنا، يسارعون إلى إخباري بأنَّني مختلفة ولستُ مثل النسويات «الحقيقيات» والغاضبات اللواتي يكرهنَ الرجال. حينها، أؤكد لهم أنني نسوية حقيقية وراديكالية بقدر ما يمكن للمرء أن يكون، وإذا تجرؤوا على الاقتراب من الحركةِ النِّسوية فسوف يرون أن الأمر ليس كما تخيَّلوه.


9 789921 774832



JADAL PUBLISHING
JADALBOOKSTORE.COM